جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الموضوع

العلاقات الطرابلسية الفرنسية
(1795 – 1830م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات ماستر أكاديمي في ميدان العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعـــداد :

عبدالعزيز عبيدي

عبدالقادر عثمان

إشراف الاستاذ:

عمر جفال

السنة الجامعية: 1439/1438 هـ – 2018/2017 م

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الموضوع

العلاقات الطرابلسية الفرنسية
(1795 – 1830م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات ماستر أكاديمي في ميدان العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعـــداد :

عبدالعزيز عبيدي

عبدالقادر عثمان

إشراف الاستاذ:

عمر جفال

السنة الجامعية: 1439/1438 هـ – 2018/2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من قال الله فيهما: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24)﴾

سورة الإسراء الآية : 23-24

إلى منبع الحب والحنان وحضن المودة والأمان.

إلى التي سهرت الليالي وجادت لأجل سعادتي بكل غال .

إلى التي تعهدتني بحنانها وغمرتني بدعواتها أمي العزيزة حفظها الله .

إلى من علمني أن الحياة جد وكد إلى من تعب لأرتاح وسهر لأنام علمني أن أحيا حياة الإستقامة والطموح مثلي الأعلى أبي أدام الله له الصحة .

إلى كل إخوتي مبروك ونصيرة وكوثر والكتكوتة أمونة، إلى خطيبتي أمينة .

إلى كل عائلة عبيدي كبيرا وصغيرا .

إلى كل من علمني حرفا ومن كان له الفضل علي من التعليم الابتدائي حتى التعليم الجامعي أساتذتي الكرام، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا المتواضع.

الإهداء

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى:(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) سورة الإسراء: الآية 24.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود،

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.

والدي العزيز.

إلى من عشت معهم تحت جناح الوالدين.

إخوتي.

إلى كل عائلة عثمان

إلى كل عائلة جنيدي لخضر.

تشكرات

نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل.

و نتقدم بالشكر الجزيل وصادق مشاعر العرفان والامتنان إلى الأستاذ المشرف

جفال عمر على توجيهاته وإرشاداته.

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة الموقرة الذين شرفونا بقبول مناقشة هذه المذكرة.

ونشكر كل من أمدنا بالنصح والإرشاد والمساعدة طيلة إعداد هذه المذكرة.

كما نشكر أعزائي الذين ساهموا في هذا الإنجاز علي، موسى، زين العابدين،

وصديق الطفولة ورفيق الدرب عمار.

قائمة الاختصارات.

الاختصار	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	الطبعة
ج	الجزء
ب س ن	بدون سنة نشر
ب ب ن	بدون بلد نشر
ب د ن	بدون دار نشر
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
ibid	ibidem

قائمة الملاحق.

رقم الملحق	العنوان	رقم الصفحة
01	قصيدة في وصف طرابلس	82
02	الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب	83
03	معاهدة استسلام الجزائر سنة 1830	84
04	رسالة يوسف باشا القرمنلي إلى حسين داي الجزائر	85
05	معاهدة يوسف باشا القرمنلي مع فرنسا	88

مقدمـــة

التعريف بالموضوع:

إن موضوع العلاقات السياسية بين الدول، من أبرز وأهم المواضيع التي تحتاج إلى دراسة معمقة ومستفيضة لبلوغ الحقائق الصحيحة، وتعتبر العلاقات الدبلوماسية بين طرابلس الغرب وفرنسا من المواضيع البالغة الأهمية، حيث كانت طرابلس الغرب ذات أهمية استراتيجية في منطقة الحوض البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة الى امتلاكها قوة بحرية يحسب لها ألف حساب كما أن الفترة التاريخية الخاصة بالأسرة القرمنلية أثناء حكم يوسف باشا مليئة بالأحداث والاضطرابات الداخلية والتغيرات الخارجية، حيث شهدت صراع وتنافس مريرين بين أكبر دولتين أوربيتين عسكريا آنذاك هما فرنسا وإنجلترا، اللتان سعتا الى السيطرة على طرابلس الغرب بشتى الطرق واستعملتا علاقاتهما الدبلوماسية بالإيالة لتحقيق أهدافهما الاستعمارية، وهنا يأتي دور القناصل الفرنسيين والإنجليز في تغيير وتوجيه مسار الأحداث السياسية والداخلية والخارجية في طرابلس الغرب، وصولا الى توتر العلاقات بين طرابلس الغرب وفرنسا سنة 1826م إثر حادثة الرحالة الإنجليزي لانج والتي كانت أزمة حادة نوعا ما حيث تزامنت هي الأخرى مع الأزمة الفرنسية الجزائرية سنة 1827م.

دوافع اختيار الموضوع:

إن اهتمامنا بتاريخ ليبيا في الفترة الحديثة وبتاريخ طرابلس الغرب وحكم الأسرة القرمنلية، كونها تحت راية الدولة العثمانية والذي كان حكمها مستقلا عنها، فكان اختيارنا لهذا الموضوع لا ينحصر على البحث فقط، وإنما نرجوا أن يكون له قيمة علمية أكاديمية.

و يتمثل الدافع العلمي في محاولة توجيه الباحث لدراسة تاريخ الأسرة القرمنلية، ومعرفة الأحداث التي عاشتها كذلك حاولنا إحاطة اللثام عن جانب مهم، ألا وهو العلاقات الطرابلسية الفرنسية، بالإضافة تسليط الضوء على تأثير الحملة الفرنسية على طرابلس، كمحاولة منا لربط الأحداث التي عاشتها المنطقة.

أما الدافع الذاتي فقد جاء انطلاقا من قناعتنا ورغبتنا الشخصية في التنقيب في صفحات تاريخ طرابلس الغرب، والبحث في طياته ومحاولة التسليط الضوء على جانب مهم ألا وهو العلاقات الخارجية خاصة مع فرنسا ضف الى ذلك حبنا الشخصي وتعلقنا بتاريخ طرابلس الغرب.

أهمية الموضوع:

يستمد هذا الموضوع أهميته كون طرابلس الغرب كانت مسرحا للتنافس والتناحر الاستعماري بين فرنسا وانجلترا بحكم موقعها الاستراتيجي، وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على علاقات الطرابلسية الفرنسية خلال عهد يوسف باشا، وأثر الحملة الفرنسية على الجزائر في استسلام يوسف باشا امامها، وكذلك مدى تأثير القناصل الفرنسيين والانجليز على مسار الحياة السياسية للايالة، اضافة الى التنافس بينهما في السيطرة عليها وجعلها تحت نفوذهما لتصبح حلبة الصراع الانجلوفرنسي.

حدود الدراسة:

إن الاطار الزماني للدراسة يبدأ من 1795م خلال تولي يوسف باشا القرمنلي الحكم، وصولا الى سنة 1830م اذ تعتبر هذه السنة سنة استسلام يوسف باشا ورضوخه الى شروط فرنسا التي احتلت الجزائر.

المنهج المتبع:

ولدراسة هذا الموضوع دراسة علمية يقتضي توظيف عدة مناهج أهمها المنهج الوصفي والمنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على رصد وتتبع الأحداث التاريخية وتحليلها فترة بفترة، إضافة إلى ذلك اعتمدنا على المنهج المقارن، وهذا من أجل مقارنة سياسة يوسف باشا الخارجية مع فرنسا قبل احتدام الصراع وبعده.

الإشكالية المطروحة:

في الوقت الذي اختلت فيه موازين القوى بين دول شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط حدث تقارب في العلاقات السياسية بين فرنسا وإنجلترا هذا التقارب الذي سار في خطى مضطربة خلال عهد يوسف باشا القرمنلي.

ـ ما هي الخطوط العريضة التي انتهجها يوسف باشا في علاقاته السياسية مع فرنسا؟

ـ ما هي الأزمات التي واجهت العلاقات الطرابلسية الفرنسية؟

ـ كيف أثرت الحملة الفرنسية على مصر على العلاقات بينهما؟

ـ كيف أثرت الحملة الجزائرية على العلاقات ما بين طرابلس الغرب وفرنسا؟

محتوى الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على خطة اشتملت على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة، وذلك من أجل الإحاطة بجميع عناصر البحث، أما الفصل التمهيدي فقد جاء بعنوان الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب إبان حكم يوسف باشا القرمنلي والذي استهللناه بدراسة جغرافية لطرابلس الغرب حيث اشتملت هذه الأخيرة على أصل التسمية، والموقع والمساحة والأبعاد للإيالة، ثم عالجنا في المبحث الثاني جذور العلاقات الطرابلسية الفرنسية وعرجنا في المبحث الأخير على أوضاع طرابلس الغرب خلال عهد يوسف باشا القرمنلي .

أما الفصل الأول فقد عنوناه بالحملة الفرنسية على مصر وعلاقة فرنسا بطرابلس الغرب 1795-1801م، حيث احتوى على ثلاثة مباحث عالجنا في المبحث الأول خلفيات الحملة وأسبابها ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى سير الحملة واحتلالها لمالطة ثم توجهها إلى مصر، أما بخصوص المبحث الثالث فقد درسنا التقارب الفرنسي الطرابلسي وموقف كل من الدولة العثمانية وإنجلترا من هذا التقارب .

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان الصراع الإنجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب 1801م إلى سنة 1830م، والذي تضمن ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول العلاقات الإنجليزية الطرابلسية أثناء الحرب الأمريكية الطرابلسية حيث أبرزنا مدى تقرب إنجلترا إلى طرابلس ومساهمتها في حل الأزمة، وأما المبحث الثاني تطرقنا إلى تراجع العلاقات الطرابلسية الفرنسية 1801-1805م وفي الأخير ختمنا الفصل بالتنافس الفرنسي الإنجليزي على طرابلس.

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان تحت عنوان الأزمات الفرنسية الطرابلسية وانعكاسات الحملة الفرنسية للجزائر على طرابلس الغرب 1826م إلى غاية 1830م، حيث احتوى على أربعة مباحث تطرقنا في المبحث الأول إلى الأزمة البابوية سنة 1826م، وفي المبحث الثاني إلى أزمة 4 نوفمبر 1826م وقضية الرحالة الإنجليزي لانج، وفي المبحث الثالث إلى أزمة التحالف المصري الفرنسي، أما في المبحث الرابع إلى أزمة الحملة الفرنسية على الجزائر وأثرها على طرابلس.

وقد ختمنا موضوعنا بجملة من النتائج التي توصلنا إليها بعد دراسة الفصول السابقة الذكر، كما دعمنا الدراسة بمجموعة من الملاحق التوضيحية وبيبليوغرافيا منقحة.

التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات الفرعية اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع عربية وأجنبية وكان أهمها:

ــ كتاب شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي لطرابلس والذي تعرض في بعض فصوله إلى العلاقات السياسية الطرابلسية مع بلدان أوروبا الاستعمارية خاصة فرنسا خلال فترة دراستنا.

ــ كتاب طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمنلية لمؤلفه رودولفو ميكاكي والذي كانت دراسته متخصصة في تاريخ طرابلس الغرب خلال حكم الأسرة القرمنلية وتطرق خلال فصوله إلى

أهم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأوروبية، وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا وتأثير قناصلتهما على الحياة السياسية إبان حكم يوسف باشا القرمنلي.

ـ كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لصاحبه أحمد بك الأنصاري والذي شملت دراسته كل تاريخ طرابلس الغرب، وكل فتراتها منذ القدم وصولا إلى العهد القرمنلي، وما يخص العلاقات الدبلوماسية خاصة في عهد يوسف باشا القرمنلي.

ـ كتاب اليوميات الليبية لمؤلفه حسن الفقيه حسن الذي احتوى بين طياته على عدة أحداث ووقائع دونت حسب اليوم والسنة والتي كان لها علاقة بالأوضاع السياسية الخارجية لطرابلس الغرب خاصة مع فرنسا.

هذا بخصوص بعض المصادر التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة وأما المراجع فقد اعتمدنا على:

. كتاب النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمنلية 1711م 1835م وأثرها على علاقاتها بالدول الأجنبية للباحث محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة والذي تناول جزء كبير من العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع البلدان الأجنبية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا خاصة في عهد يوسف باشا القرمنلي.

. كتاب انهيار الأسرة القرمنلية في ليبيا 1795م 1835م لصاحبه عمر بن إسماعيل وهو الأخر تطرق إلى العلاقات الخارجية لإيالة طرابلس الغرب مع دول أروبا خاصة فرنسا.

. كتاب تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين للمؤلف نيكولاي إليتش بروشين الذي تطرق ضمن فصوله إلى العلاقات الطرابلسية الخارجية مع فرنسا وصراعها مع إنجلترا في بسط نفوذهما في المنطقة.

صعوبات الدراسة:

في خضم ما تم ذكره والتوصل إليه فقد واجهتنا في إنجاز هذا العمل مجموعة من المشاكل والصعوبات والتي قد يواجهها أي باحث نذكر منها:

- نقص المادة العلمية التي تناولت هذا البحث وخاصة منها المتخصصة والتي غالبا ما كانت باللغة الإيطالية حيث يصعب علينا ترجمتها لعدم إتقاننا للغة الإيطالية.
- وجود الأرشيفات التي تعد المصدر الأول للمادة العلمية في ليبيا التي يصعب التنقل إليها نتيجة الأوضاع المتردية.
- المدة الزمنية المتاحة لم تكن كافية للإحاطة والإلمام بهذا الموضوع من جميع النواحي.
- عدم وجود دراسات تفصيلية حول موضوع البحث.
- تطرق بعض المصادر والمراجع بطريقة مختصرة.

الفصل التمهيدي

الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب

I.1: جغرافية طرابلس

I.1.1: الاسم ودلالته

لقد ذكر اسم طرابلس في العديد من المصادر التاريخية، حيث يذكر أن تفسير طرابلس بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن، إذ أن لفظ "طر" يعني ثلاث ولفظ "بليطة" يعني مدينة، ويذكر أن اشفاروس قيصر هو الذي بناها وتسمى أيضا طرابلس مدينة أناس[1].

وفي هذا السياق يذكر الحموي اسم طرابلس حيث يقول "طَرَبُلُسُ بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضا مضمومة وسين مهملة، ويقال أطرابلس وتسمى أيضا إياس وعلى مدينة طرابلس صور صخر جليل البنيان وهي على شاطئ البحر[2].

وكانت طرابلس تسمى "أويات" وهو لفظ يظهر أنه بربري، وحرفه الرومان إلى "أوَا" ومعناه بالإغريقية الرومية ثلاث مدن وهي "أوَا" طرابلس الآن عاصمة القطر.

و"صبراتة" و"ليبدس" وصبراتة تسمى الآن صبرة، وزواغة وليبدس تسمى الآن لبدة، وقد أطلق اسم طرابلس على كل القطر من حدود مصر شرقا إلى حدود تونس غربا[3].

(1) أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري، **المسالك والممالك**. (د ب ن، د د ن، د س ن)، ص ص، 7-8.

انظر أيضا: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تع: سعد زغلول عبدالحميد، (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، د س ن)، ص25.

(2) شهاب الدين الحموي أبي عبدا لله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**. مجلد04، (بيروت: دار صادر، د س ن)، ص25.

انظر أيضا ابي عبد الله محمد بن عبدالسلام الناصري، **الرحلة الناصرية الكبرى**. تع المهدي الغالي، ج01، (المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية 1434هـ 2013م)، ص323.

(3) ابي عبدالله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار في من ملك طرابلس وماكان بها من أخبار**. صح الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، (القاهرة: د د ن، 1349هـ)، ص "ي".

إضافة إلى ذلك تعتبر أطرابلس من المدن الفينيقية التي احتلها القرطاجيون سنة 795 ق م، زمن انشغال اهاليها بالحرب مع المصريين، وهي أحد المراكز الفينيقية الأربعة التي أنشؤوها على الساحل الافريقي وهي "قرطاجنة" و"صبراتة" و"أوبا" و"ليتس هانيا"[1].

وأول من بنى صورها أسفاروس القيصر الرومي، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي أطلق عليها اسم "تريبوليتانوس" وهي كلمة تفيد معنى إقليم المدن الثلاث، كما أسلفنا القول وكلمة طرابلس ينطق بها الطرابلسيون هكذا: طَرَابُلسُ، طَرَابُلسْ، أَطْرَابُلسُ، وهذا الأخير هو الاسم العربي الصحيح الذي سميت به منذ سنة 22هـ أول مافتحها العرب، فقد جاء جواب عمرو بن العاص الذي كتبه إلى عمر بن الخطاب في المدينة، بعد أن فتح شروس عاصمة جبل نفوسة، إن ذاك قوله" إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين افريقية إلا تسع أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"[2].

كما أنه يذكرها مؤلف مجهول في كتاب الاستبصار بأنها أول مدينة إفريقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وصورها من حجر جليل صنعه الأوليين[3].

أما في العهد العثماني أضيفت صفة "الغرب" إلى طرابلس تميزاً لها عن طرابلس الشام، إذ كان نفوذ الأتراك ممتدا إلى مسافات واسعة، شملت البلدان العربية، واسم طرابلس الغرب لم يكن يعني المدينة وحدها بل يشمل ما حولها[4].

ولقد قال في وصفها عند سوقه لها الأريب اللبيب والشاعر الأديب أحمد بن الحسين بن الشيخ أحمد البهلول رحمه الله، أيام هجرته عنها بالجامع الأزهر حيث قال عنها[5]:

طرابلس الغرا ! ترى لي عودة ***** إليك وهل يدنو الذي كان قد ذهب

سقا لها بالخلد آية شبهة ***** فمنها نبات الزعفران كذا العنب

(انظر إلى الملحق رقم 01).

(1) الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، **معجم البلدان الليبية**. (طرابلس: مكتبة النور، 1388هـ 1968م)، ص23.

انظر أيضا: **ج أو هابنتسرايت، رحلة العالم الألماني ج أو هابنتسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ 1732م)**. تر: ناصر الدين سعيدوني، (تونس: دار الغرب الإسلامي، د س ن)، ص126.

(2) الطاهر أحمد الزاوي الطرابلس، **معجم البلدان الليبية**. المرجع السابق، ص25.

(3) مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**. المصدر السابق، ص110.

(4) صلاح أحمد البهنسي، **طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني**.(القاهرة: دار الأفاق العربية، 1424هـ 2004م)، ص8.

(5) أحمد بك الأنصاري الطرابلسي، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**. (ليبيا: منشورات مكتبة الفرجاني، د س ن)، ص10.

I.1.2: الموقــع الجغرافي:

تقع طرابلس الغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط، شمال خط الإستواء عند خطي العرض 56° و 32° وعلى خطي الطول 10° و 13° شرقي خطي غرينيتش، وهي بذلك تقع في صميم مناخ البحر الأبيض المتوسط، على رأس سهل الجفارة وتتمتع بموقع جغرافي هام تكثر فيها المراكز الاقتصادية والتجارية والبرية[1].(انظر إلى الملحق رقم 02).

I.1.3: المساحة والأبعاد:

تقدر مساحة طرابلس الغرب (ليبيا الحالية) 1759540 كلم^2، ويبلغ إجمالي حدودها قرابة 6500 كلم، منها 4600 كلم برية و1900 بحرية موزعة على النحو التالي[2]:

تونس	النيجر	تشاد	الجزائر	السودان	مصر
500كلم	150كلم	1090كلم	1200كلم	400كلم	1094كلم

I.2: جذور العلاقات الطرابلسية الفرنسية

بدأت العلاقات الفرنسية مع العالم الخارجي في القرن الثاني عشر الميلادي، مع المدن الإيطالية بهدف حماية تجارتها، ثم بدأت تتوسع عبر دول العالم، وكانت اتفاقية سنة 1535م التي عقدتها مع السلطان العثماني، المفتاح الذي مكنها من دخول موانئ الخلافة الإسلامية، وفي سنة 1551م أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني*، أسطولا عسكريا مكونا من 170 مركب بقيادة سنان باشا

(1) محمود الصديق أبو حامد، محمود عبدالعزيز النمس، **مدينة طرابلس منذ الإستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي**. (د ب ن: الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، 1398هـ 1978م)، ص7.

(2) جلول غريس، **العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية الأوربية خلال عهد يوسف باشا القرمنلي (بريطانيا وفرنسا أنموذجا) –1209-1247هـ، 1795 1832م–**. (مذكرة ماستر: جامعة الأغواط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2017/2016)، ص11.

(*) ولد عام 900 للهجرة وتولى زمام السلطة عام 926هـ، قام بحق الخلافة ورفع شأن السلطنة إلى أوج العظمة والأبهة ووضع لها عدة قوانين تتعلق بالإدارة لذلك لقب بالقانوني.

انظر: عزتلو يوسف بك آصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**. تقديم محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1415هـ 1995م)، ص60.

ومشاركة مراد أغا*، بهدف طرد فرسان القديس يوحنا ** من طرابلس، وبعد أن تمكنت الحملة في حوالي أسبوع من الحصار والمشادات من 9 إلى 16 أوت 1551م من تحرير طرابلس وطرد فرسان القديس منها، وبعد السيطرة على طرابلس، صدر فرمان من السلطان العثماني بتعيين مراد أغا واليا على طرابلس ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرابلس إيالة عثمانية، ومنه سعت فرنسا للتقرب من حكامها بغرض حماية مصالحها التجارية للوقوف ضد منافستها بريطانيا عن طريق عقد اتفاقيات ومعاهدات[1].

وترد أول الاشارات على وجود أول قنصل أو وكيل لفرنسا بطرابلس إلى سنة 1610م، في عهد صفر داي حيث نجد السيد فرانسيسكو دماس[2] (fransesco dumos)، والذي ارسله الملك هنري الرابع (1589م – 1610م) كوكيل تجاري بطرابلس، فأقام بها خمس سنوات ويبدو أن الحظ لم يحالفه في إقامة صلات تجارية واسعة وتحقيق مردود مادي كاف له ولأسرته، وبسبب قلة المبادلات بين طرابلس وفرنسا[3].

وعليه عاد إلى بلاده وأرسل عوضا عنه سنة 1615م نيكولاس برين (Nicolas brun)، إلى طرابلس الذي شغل هذا المنصب مدة أربعة سنوات، أي إلى سنة 1619م حيث عاد إلى بلاده ومن المرجح أن سبب عودته كان نتيجة توتر العلاقات بين فرنسا وطرابلس بتزايد عمليات الغزو، ونجاح البحارة الطرابلسيين في الاستيلاء على عدد كبير من المراكب التجارية الفرنسية، ولم يخلفه في المنصب أحد إلى غاية سنة 1630م[4]، حيث أرسل الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (luoys.xv)

(*) أصله إيطالي من مواليد راقوسيا، أسره القراصنة وباعوه وآل أمره إلى قصر السلطان سليم، عين واليا على طرابلس الغرب عام 1551م. انظر الطاهر أحمد الزاوي، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**. (لبنان بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1390هـ 1970م)، ص153

(**) بدأت هذه المؤسسة كمنظمة خيرية دينية كان مركزها في القدس، ثم تحولت إلى عكا في فلسطين، لينتهي بها الأمر في جزيرة رودس نتيجة انتصارات صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، وأسسوا في رودس ممكلة مسيحية تحت رعاية البابا، وحماية الملك للمسيحيين وقد توجهوا إلى طرابلس واستلموها بعد تنازل ملك إسبانيا شارل الخامس لهم عنها سنة 1510م، وظلوا بها حتى سنة 1551م حيث طردهم العثمانيون منها.

انظر محمد الباروني، **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**.(د ب ن: مطبعة ماجي، 1952)، ص75.

(1) عمر جفال، **العلاقات الليبية وموقع الجزائر منها**. مخطوط دكتوراه غير مناقش. ص14.

(2) كوستاتريوبرنيا، **طرابلس من 1510م إلى 1850م**. تعر: خليفة محمد التليسي، (بنغازي ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 185)، ص155.

(3) نفس المصدر، ص158.

(4) عمر جفال، المرجع السابق، ص15.

(1610-1643) بيرنجيه (Beaengvier) مبعوثا شخصيا لطرابلس، فسلم له الداي مصطفى الشريف (1620م - 1631م) 100 من الأسرى الفرنسيين ووعده باحترام جميع الفرنسيين[1] ثم عين مكانه السيد مولان (molan) الذي ساءت علاقته مع الداي محمد[2] الساقزلي (1632-1649) ولم تدم إقامته طويلا، إذ لم تزد على سنة وفي سنة 1640م استقر بطرابلس تاجر فرنسي اسمه بايون (bayon) الذي استطاع أن يكسب نفوذا واسعا، مكنه من ان يعمل ويتصرف كنقصل في حماية مصالح الفرنسيين رغم عدم حصوله على هذا المركز بصفة رسمية[3] إلا انه وبفضل مساعيه لدى الداي، فإنه قد سمح للراهبين الفرنسيين باسكال بروسا كانتو (pascal brossat canto) وفرنسوا باسيفيك (françois pacifique) بالإقامة في طرابلس، واستئجار بيت جعلوا به كنيسة صغيرة وافتدى الأب باسكال خمسين أسيرا نقلهم إلى أروبا[4].

وبعد بايون أتى أستين (Estienne) في سنة 1650 وهو من مدينة مرسيليا الأكثر ارتباطا من الناحية التجارية بطرابلس من أي مدينة فرنسية أخرى، مما جعل تجارتها تخسر من جراء هجمات مراكب البحرية الطرابلسية الكبيرة[5]، وقد عمل التاجر استين على تحسين العلاقات التجارية بين فرنسا وطرابلس الغرب[6] ولكن العلاقات المنظمة بين فرنسا وطرابلس لم تبدأ إلا في سنة 1680م ففي عهد الداي الحاج عبدالله، تلقي القراصنة الطرابلسيون درسا قاسيا على يد الفرنسيين، حيث في سنة 1679م أرسل القائد دي فالبيل (De valbell) لعقد إتفاقية تحمي السفن التجارية الفرنسية من الهجمات المتتالية ولكنه لم ينجح في مفاوضاته[7].

وبالنظر إلى الشكاوي والتظلمات المتعددة التي كانت ترد إلى لويس الرابع عشر، أصدر أوامره إلى دوكين (Douquesne) بالقيام بمعاقبة هؤلاء القراصنة، وفي يوم 14 أغسطس 1680 ظهر

(1) شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**. تحقيق: محمد عبدالكريم الوافي، ط3، (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، 1994)، ص193.

(2) إتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**.تر:خليفة محمد التليسي، (الإسكندرية مصر: دار العربية للكتاب، 1974)، ص301.

(3) كوستانزيوبرنيا، المصدر السابق، ص156.

(4) شارل فيرو، المصدر السابق، ص151.

(5) محمد سعيد سالم الطويل، **العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أروبا المتوسطية(1795م-1832م، 1210هـ-1248هـ)**. أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2007-2008، ص59.

(6) أتوري روسي، المصدر السابق، ص301.

(7) نفس المصدر، ص302.

دوكين أمام طرابلس ومعه خمسة سفن، وكان القراصنة في تلك اللحظة متواجدين في عرض البحر، فأوفد هذا الأميرال الفرنسي ضابطا إلى اليابسة كي يطلب من الداي أن يسلمه الأسرى الفرنسيين، فأجيب بأنه بالنظر إلى أن الأسطول متغيب في إحدى جولاته فإنه ليس في وسع الطرابلسيين أن يعطوه ردا حاسما كما لا يمكنهم تسليم الأسرى، بل ولا حتى عقد اتفاقية الصلح، وظل الأسطول الفرنسي راسيا لمدة أربع أيام ليتجه فيما بعد إلى جزيرة مالطا وبعد انقضاء يومين على رحيل دوكين رجع القراصنة إلى المرسى مصطحبين معهم سفينة تجارية تابعة لمرسيليا محملة بالبضائع الغالية[1].

وعلى هذا الحال زاد التوتر بين فرنسا وطرابلس الغرب، مما أدى بالحكومة الفرنسية ان تصدر أوامرا للبحرية الفرنسية بتعقب المراكب الطرابلسية في عرض البحر، وكلف الأميرال دوكين بهذه المهمة[2] وبعد أن فصل في البحر اصطدم في مياه المورة بست سفن طرابلسية، كانت سفينة القيادة فيها تدعى القمر، وتتوفر على خمسة وستين مدفعا وخمسمائة بحارا، وقد لجأ قراصنة طرابلس إلى ميناء كيوس فقام المركيز دوفيرل والأميرال دوكين بمحاصرتها وضربها، رغم احتجاج ضباط الباب العالي حتى أذعنت للشروط المفروضة في المستقبل 27 نوفمبر 1681م[3].

ورغبة فرنسا في ضمان حقوقها بطرابلس اوفدت فرنسا القنصل دي لامجدلين (De la magdeline) بعد مضي بضعة أيام تمكن دي لامجدلين بمساعدة الراهب الإرسالي بول (paul) الذي كان فيما مضى مسجونا بتونس ثم قدم إلى طرابلس حيث أصبح رئيس جالية الإرساليين الفرنسيين بها حيث تمكن من تهجير أول دفعة من الأسرى إلى ميناء طولون الفرنسي وكان حوالي 340 أسيرا[4]، لكن هذه المعاهدة لم تلبث طويلا فقد استأنف الطرابلسيون سنة 1682م مهاجمة السفن الفرنسية فقامت فرنسا بقيادة الأميرال دوكين في سنة 1683م والمارشال دي استريز (D'estrees) في سنة 1685 بضرب مدينة طرابلس وبعد قصف المدينة، قبل الداي الصلح مع فرنسا بإبرام معاهدة عدلت النصوص اتفاقية سنة 1681م فكانت الشروط الجديدة أكثر قسوة[5] تمثلت في:

- استعادة جميع الأسرى النصارى بصرف النظر عن جنسيتهم واستقدامهم إلى سفنهم.
- إعادة بضائع أمتعة رعايا ملك فرنسا أو التعويض عنها نقدا.

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص196.

(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص61.

(3) شارل فيرو، المصدر السابق، ص200.

(4) نفس المصدر، ص201.

(5) أتوري روسي، المصدر السابق، ص305.

– تسليم ستة رهائن يختارون من بين اكبر ضباط الديوان كي يصطحبهم معه إلى ميناء طولون ويبقون به إلى ان يتم تسليم جميع الأسرى المحتجزين حتى تلك اللحظة على ظهور سفن القراصنة الجيش العثماني[1].

كما تضمنت حرية التجارة بين البلدين وحصانة السفن التجارية وقد حددت بعض المواد الأخرى أن القضايا بين الفرنسين يكون أمر البت فيها موكلا إلى القنصل وحده أما القضايا المتعلقة بالفراغ بين الفرنسيين والأتراك أو العرب، فيتم النظر فيها أمام الديوان بحضور القنصل، كما يحق للقنصل أن يمارس في مقر قنصليته الطقوس المسيحية إلى غير ذلك من البنود القاسية[2].

استمرت العلاقات الودية نسبيا بين طرابلس وفرنسا حتى سنة 1692 أثناء حكم الداي محمد الامام 1701/1683. عندما ظهرت بوادر أزمة جديدة بين البلدين بسب عمليات الغزو التي كانت تقوم بها المراكب البحرية الطرابلسية انتهت هذه الازمة بقصف طرابلس يوم 21-7-1692 وقد كانت هذه الحملة بقيادة دروبيرت Derebiret الذي قصف المدينة بشدة بحيث ألقى أسطول دروبيرت 1500 قنبلة مما أدى الى هجر المدينة [3].

انتهت هذه الحملة بإبرام معاهدة جديدة بين طرابلس الغرب وفرنسا بتاريخ 27 مايو 1693 وهي لا تختلف عن سابقتها، الا في المادة 18 التي اشارت الى وجود قنصل فرنسي بمدينة درنة حيث جاء في هذه المعاهدة[4] ويعامل قنصل درنة بنفس المعاملة[5].

ولقد ظلت العلاقة بين طرابلس الغرب وفرنسا لعدة عهود غير مستقرة، بين التوتر والاستقرار وكثير ما كانت الأساطيل الفرنسية تقوم بحملات تأديبية لطرابلس حسب الوصف المسيحي حيث كانت الأساطيل الفرنسية تقصف في كل مرة طرابلس بغرض إطلاق سراح الأسرى وإجبار حكام طرابلس على عقد اتفاقيات سلام معها.

لكن هذا الوضع تغير بوصول الأسرة القرمنلية إلى الحكم في طرابلس بداية سنة 1711 حيث يمكن القول أن العلاقات الفرنسية الطرابلسية لم تتجسد سوى في العهد القرمنلي[6].

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص207.

(2) أتوري روسي، المصدر السابق، ص306.

(3) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص66.

(4) نفس المرجع، ص67.

(5) المادة 18 من المعاهدة المذكورة.

(6) عمر جفال، المرجع السابق.ص17.

استمرت العلاقة الحسنة بين طرابلس الغرب وفرنسا خاصة في عهد يوسف باشا حيث وجد نابليون فيه أفضل حليف في حملته على مصر سنة 1798 وسنتطرق إلى العلاقات بين الدولتين في عهد يوسف باشا بالتفصيل في الفصول القادمة.

I.3: أوضاع طرابلس الغرب خلال عهد يوسف باشا القرمنلي.

لقد ميز العقد الثاني من القرن 18 بداية عهد هام في التاريخ السياسي الطرابلسي الغرب، حيث شهد ظهور أسرة محلية بعد مائة وستين سنة من الحكم العثماني الاول[1]، وقد عرفت طرابلس في عهد الأسرة القرمنلية نشاطا واسعا خاصة في عهد أحمد باشا القرمنلي*.

ولكن مع بداية ظهور بعض المشاكل الداخلية[2] في الإيالة توجه أسطول سنة 1793م بقيادة علي برغل** مؤلف من تسعة سفن حربية، ولقد تمكن علي برغل من استرجاعها والاستقرار في طرابلس لأكثر من سنة، ولكن مع المساعدات التي تلقاها الأمراء القرمنليون من حمودة باي*** تونس، تمكنوا من استرجاع طرابلس مرة أخرى، ودخلها الأمراء القرمنليون مع جيوشهم سنة 1794م يرافقهم الجيش التونسي، وعاد بذلك الحكم من جديد إلى الأسرة القرمنلية[3].

(1) كولا فولاين، **ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمنلي**. تر:عبدالقادر مصطفى المحيشي، (طرابلس ليبيا: منشورات مركز جهاد الليبي، 1988)، ص15.

* أول حاكم قرمنلي في طرابلس الغرب ويصفه النائب بالإنسان المنصف والعادل في جميع قراراته.

انظر الطاهر أحمد الزاوي، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**. (بيروت لبنان: دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، 1970)، ص231.

(2) كولا فولاين، المرجع السابق، ص ص 15-16.

** علي باشا برغل استولى على طرابلس الغرب سنة 1793. وأعلن نفسه واليا بأمر من الباب العالي، انظر شارل فير، المصدر السابق، ص365.

*** محمد حمودة باشا بويع حاكما لتونس سنة 1793 تكفل بمساعدة الأسرة القرمنلية عندما لجأوا إليه لمساعدتهم من الغازي علي برغل.

انظر حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**.ط2، (تونس: دار الكتاب العربية الشرقية، 1373هـ)، ص ص، 156-157.

(3) اتوري روسي، المصدر السابق، ص312.

وبعد تثبيت الحكم القرمنلي تم تعيين أحمد القرمنلي واليا على طرابلس، إلا انه لم يعمر طويلا في الحكم بسبب إهماله لشؤون البلاد[1]، وهذا ماساعد يوسف باشا*على الانقلاب عليه حيث تذكر بعض المصادر أن يوسف باشا استغل خروج أخيه أحمد إلى الصيد فأغلق أبواب المدينة، وأعلن نفسه حاكما جديدا بدلا من أخيه أحمد[2].

تولى يوسف باشا حكم البلاد في عام 1795م، فقام بتغييرات جذرية في أسلوب الحكم لم تشهده طرابلس سابقا، إذا اعتمد على سياسة الإقناع وأبدى همة كبيرة في إصلاح ما أفسده غيره من قبله[3].

فقام بإعادة النظام ليشعر الناس بالطمأنينة التي فقدوها من قبله حتى استعاد ثقتهم به، كما عمل يوسف باشا على توثيق صلته بالدولة العثمانية وظل كأسلافه ينظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية ان سلطانها خليفة المسلمين[4].

حيث قام يوسف باشا بتشييد الكثير من المباني في المدينة، واهتم بتحسيين الاوضاع الدفاعية لها[5]، ذلك لان الصراعات والإهمال الطويل للحكام السابقيين أضعف التحصينات وخلف الدمار في الضواحي أما عن الجانب الإداري فإنه لم يطرأ عليه أي تغيير في عهد الأسرة القرمنلية [6]، بل استمر التقسيم الإداري نفسه الذي كان سائدا قبل أن تستلم هاته الأسرة مقاليد السلطة، حيث قسمت إيالة طرابلس إلى ثلاثة سناجق "ألوية" هي: طرابلس، بنغازي، فزان، وكانت الألوية تدار من طرف أفراد الأسرة القرمنلية أو أقاربهم أو الأشخاص الموثوق بهم، أما الوحدات الإدارية الصغرى فكان

(1) كولا فلاين، المرجع السابق، ص39.

* ابن علي القرمنلي تولى حكم طرابلس سنة 1795 الذي أبدى همة كبيرة في إصلاح ما أفسده من قبله وفي أيامه قوى الأسطول الطرابلسي، وأصبح مهابا من الأساطيل الأوربية، انظر الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص216.

(2) ريتشارد توللي، **عشرة أعوام في بلاد طرابلس 1783 1793**. تر: عبدالجليل الطاهر، (طرابلس ليبيا: مكتبة الفرجاني، 1967)، ص545.

(3) اسماعيل حلمي محروس، **تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الثانية**. (الاسكندرية مصر: د د ن، 1997)، ص73.

(4) عبدالله محمد خليل بن غلبون، المصدر السابق، ص76.

(5) رودلفو ميكاكي، **طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمنلية**. (طرابلس ليبيا: دار الفرجاني، د س ن)، ص34.

(6) راشد أحمد اسماعيل، **تاريخ المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر. (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، (د ب ن: دار النهضة العربية، 2004)، ص25.

يرأسها الضباط الذين يسهرون على أمن الأهالي وسلامتهم، وكان الوالي على رأس السلطة وهو الحاكم المطلق للإيالة وقراراته غير قابلة للنقاش أو الطعن[1].

ويساعده البك من رئاسة القوات العسكرية ونشر الأمن والنظام في البلاد وتحصيل الضرائب غير أن البك في عهد يوسف باشا كان في بعض الأحيان يسند مهام جمع الضرائب إلى رؤساء الجند[2].

والكيخيا الكبير: هو مستشار الباشا الخاص والقاضي الذي يفصل فيما يقع من الخصومات بين القبائل وكان من واجبه العمل على طاعة وقبول قوانين الباشا وأوامره ومعاقبة مخالفها[3].

والكيخيا الصغير: مهامه الاهتمام بشؤون القلعة ورئاسة حرس الباشا، وكما كان يعهد إليه تربية أبنائه وتعليمهم، كما كان يحل محل الكيخيا الكبير في حالة غيابه أو مرضه، وكذلك الخازندار: وزير المالية[4].

وقد تميزت الفترة الأولى من حكمه بالاستقرار والقوة، هذا ما أثر إيجابا على البلاد سواء في الجانب الاجتماعي والاقتصادي وحتى الثقافي، ويتضح هذا من خلال تشجيع أفراد الأسرة القرمنلية للعلم والعلماء، فأدى ذلك إلى إحياء اللغة العربية وازدهارها بشكل كبير، حتى أصبحت وثائق الدولة الرسمية في تلك الفترة تحرر باللغة العربية بعد أن كانت اللغة العثمانية هي الغالبة[5].

(1) علي مسعود الوبيه، **الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842–1911**. مراجعة طاهر خلف البكاء، طرابلس ليبيا: منشورات مركز جهاد الليبيين، 2005)، ص21.

(2) عمر علي بن اسماعيل، **انهيار حكم الأسرة القرمنلية في ليبيا 1795–1835**. (بيروت لبنان: مكتبة الفرجاني، 1966)، ص163.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص30.

(4) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص165.

(5) نفس المرجع، ص ص171-172.

إلا انه سرعان ما تغيرت الأوضاع بسبب الأزمة الاقتصادية التي عرفتها طرابلس، وقد بدأت طلائع الأزمة في تحدي أمريكا لإرادة يوسف باشا منذ سنة 1805م، واستطاعت بقوتها أن تتحصل على إعفاء من دفع الإتاوات السنوية، ثم جاء مؤتمر فيينا 1815، وما تلاه من مؤتمرات أوربية كانت نتيجتها تحريم العمليات البحرية التي كان يقوم بها البحارة المغاربة ضد السفن الأوربية وكذا منع استرقاق المسيحيين[1].

أضف إلى ذلك أن الهدايا التي كان يتلقاها من بعض الدول الأوربية تم إلغاؤها[2].

(1) المرجع السابق، ص230.

(2) محمد عبدالكريم غرايبة، **تاريخ العرب الحديث**. (بيروت لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1984)، ص147.

الفصل الأول

الحملة الفرنسية على مصر

وعلاقة فرنسا بطرابلس الغرب

1795 - 1801

II.1: خلفيات الحملة وأسبابها

إن الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها كل من ليبيا وفرنسا خلال هذه المرحلة، قد أسهمت فيها زيادة التقارب بينهم الى اقصى ما يكون بالنسبة لبقية الدول الاوربية الأخرى. نظرا لحاجة كل منهما الى دعم ومساندة الأخرى، فيوسف باشا الحديث العهد بالحكم، كان احوج ما يكون الى الامن والسلام الخارجي، ومهادنة دول بحرية مثل: فرنسا.

وقد حرص اسلافه على تحسين علاقتهم معها وهم مكرهين في اغلب الأحيان، تحت وطأة التهديد بالقوة، لهذا حرص على كسب ودها وعدم معاداتها، حيث كانت من أولوياته تتمحور في اعادة بناء البلاد الخارجية لتوها من الحرب الاهلية، التي ضعضعت كيانها السياسي والاقتصادي والعسكري إضافة الى اصلاح الخارب والدمار الذي لحق بالقلعة بعد الغام علي الجزائري على الخروج منها[1].

والاهم من ذلك كله إعادة احكام سيطرته على البلاد حتى يستطيع الانطلاق من قاعدة داخلية صلبة ومتماسكة. وهكذا نجد ان سياسة يوسف باشا الخارجية كانت تقوم على أساس تقديريه للظروف السياسية والاقتصادية فمثلا هناك عدة عوامل سياسية واقتصادية كانت أساس هذا التقارب بين يوسف باشا والحكومة الفرنسية، منها خشيته من الانتصارات التي أحرزها نابليون ستدفعه الى التفكير في احتلال طرابلس لتكون قاعدة انطلاقته التوسعية[2].

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص514.

(2) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق ص ص، 87-88.

تعتبر حملة نابليون* على مصر حلقة من حلقات الصراع الذي عم أرجاء القارة الأوروبية، في أعقاب الثورة الفرنسية سنة 1798م، ذلك أن ملوك اروبا حاولوا القضاء على الثورة في مهدها، ومنع انتشار أفكارها التحريرية، إلا أن حماس الجنود الفرنسين في الدفاع عن بلادهم وثورتهم، وعبقرية نابليون العسكرية مكنته من هزيمة النمسا واجتياح إيطاليا والانتقام من بريطانيا، لانتزاعها لبعض المستعمرات الفرنسية في حرب السنين السبع[1]، كما أن حملة نابليون ليست هي الأولى، ومن الجدير بالذكر أن فرنسا كانت قد حاولت احتلال مصر في مرة سابقة، من خلال الحروب الصليبية في الحملة الصليبية السابعة بقيادة ملكها لويس التاسع، إلا انه قد فشل في الحملة واندحر عن مصر وكان ذلك في عام 1250م[2]، لم يكن مشروع الحملة الفرنسية وليد مفاجئ بل كانت فرنسا تدرس إمكانية غزو مصر منذ سنة 1783م حيت اقترح القنصل الفرنسي في مصر احتلالها لتكوين مكان الاستيطان الزائد من الفرنسين وسوقا لمنتجات فرنسا[3] .

* ولد هذا الرجل الشهير 15 أوت 1769م بمدينة اجاكسيو بجزيرة كوسيكا، ثم دخل المدارس الحربية وترقى إلى وظيفة ملازم ثاني، ثم عين قائدا عاما للجيش المحارب في إيطاليا سنة 1796م، وبعد أن قهر الجيوش النمساوية عاد إلى باريس حيث كلف باحتلال مصر ولما أتبع مأموريته عاد إلى فرنسا لتتمتع نواياه في اوت سنة 1799م، وتولى بها قيادة جميع الجيوش وعين بعد ذلك رئيس للحكومة ثم قنصل وفي سنة 1804م نودي به امبراطور على فرنسا باسم نابيلون الأول وفي ديسمبر من السنة المذكورة أتى البابابيوس السابع إلى مدينة باريس وتوجه بيده في حفلة عمومية، وقهر جيوش أروبا التي تألبت عليه عدة مرات وإنهزم أخيرا في سنة 1814 وتعافى في 11 أفريل وسافر إلى جزيرة ألبا التي عينت منفى له بجوار إيطاليا ولم يلبث أن عاد منها ونزل بخليج جوان بجنوب فرنسا في اول مارس سنة 1815م فتألبت عليه الدول أجمع وقهرته في واقعه ووترلو ببلاد البلجيك في 18 جوان 1815م وأرسل أسيرا إلى جزيرة سانت هيلانه أحدى جزر إفريقيا تابعة للإنجليز وتوفى بها في 5 ماي سنة 1821م،

انظر محمد فريديك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**. تحقيق: إحسان حقي، (بيروت لبنان: دار النفائس، 1981)، ص372.

انظر أيضا يوسف اليستاني، **نابليون الأول أوالنسر الأعظم**. ط2(مصر: مطبعة الهلال، 1924)، ص06.

(1) محمد عبدالله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، **تاريخ العرب الحديث**. (عمان: الأهلية لنشر والتوزيع، 1989)، ص66.

(2) جميل بيضون وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**. (الأردن:دار الامل للنشر والتوزيع، 1412هـ، 1991م) ص119.

(3) محمد عبدالله عودة، المرجع السابق، ص66.

وما يشير الى ذلك في الميراث قائلا " ان مصر توجد فيما يشبه حالة استقلال متميز عند الباب العالي، وعلينا ان نصوب نظراتنا الى هناك. وان يأخذ الروس اوكرانيا، وتستحوذ فرنسا على مصر[1] ".

والحملة الفرنسية على مصر كانت خطو مدروسة مدبرة مبيته لكل صغيرة وكبيرة بل كانت في حقيقة الامر حملة صليبية استعمارية بحتة[2].

عندما نرجع الى أسباب هذه الحملة نجد في الواقع انه كان لمجيء الحملة الفرنسية الى مصر عدة أسباب، ترتد في أصولها الى هذا النزاع الاستعماري الذي كان على اشده في القرن الثامن عشر، وارتباطه بالموقف السياسي في اروبا ذاتها في الفترة القصيرة التي سبقت مباشرة ارسال نابليون بونابارت على راس الحملة الى مصر في مايو 1798 م[3]، إضافة إلى مهاجمة انجلترا في الشرق، وقطع طريق الاتصال بينها وبين مستعمراتها، والتي تعد اكبر معضلة (إنجلترا) واجهت حكومة فرنسا ونابليون والتي كانت بمفردها في حالة حرب مع فرنسا، لعدم وجود أسطول قوي يمكن فرنسا من التفوق في بحر المانش، ولو لمدة وجيزة تستطيع فيها انزال حملة برية على سواحل إنجلترا فلما رأى بونابرت، ان توجيه الإصابة إلى قلب إنجلترا غير ميسور فكر في قطع اوصالها وذلك بضربها في مستعمراتها، اما بالاستيلاء على المستعمرات نفسها، او بقطع طريق التجارة بين إنجلترا وبين هذه المستعمرات، او بتأسيس مستعمرات فرنسية جديدة تعادل من حيث شأنها وموارد المستعمرات الانجليزية وخاصة الهند[4].

(1) زينب عبدالعزيز، **مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين**.(د ب ن: الإشراف والتنفيذ الطباعي كمبيوتر ستار، 1998)، ص109.

(2) نفس المرجع، ص12.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**. (الرياض السعودية: مكتبة العبيكان، 1998)، ص202.

(4) محمد رفعت، **تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة**. ج1،(القاهرة مصر: وزارة المعارف العمومية الأميرية ببولاق، 1934)، ص25.

إضافة الى ذلك ان الادارة الفرنسية ارادت ابعاد نابليون عن فرنسا لازدياد حب الجماهير له بعد انتصاره على النمسا، وكان وزير خارجية فرنسا تاليران متحمسا لغزو فرنسا لمصر واحتلالها، لأنه كان يعتقد ان الدولة العثمانية ستنهار خلال ربع قرن ومصر افضل المناطق المناسبة لفرنسا[1].

وعلى ذلك رأت الحكومة الفرنسية ان استيلاء فرنسا على مصر يجعل اقصر طريق بين الشرق والغرب في قبضة فرنسا وان بونابارت في مصر يستطيع ان يتصل بقبائل (المهراتا) بالهند هذه العناصر الثائرة ضد الانجليز في الهند فلا يلبث النفوذ الإنجليزي ان يتضعضع في الشرق، زد على ذلك انه اذا أضيفت مصر الى دائرة نفوذ فرنسا في إيطاليا وجزر اليونان لا يلبث ان يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية[2].

ومن أسباب الحملة الفرنسية أيضا الانتقام من المماليك لاعتدائهم على التجار الفرنسيين في مصر، وارهاقهم بالمطالب المالية ومصادرة أموالهم ومتاجرهم والاعتداء على ارواحهم، كما طلب القنصل الفرنسي ماجالون سنة 1795م، باحتلال مصر لسهولة احتلالها لعدم وجود تحصينات عسكرية كافية ولضعف تسليح المماليك، فقال " اذا كانت الجمهورية تريد رعاية التجارة الفرنسية وترغب في ان تغير الى اقصى حدود الإفادة، فلابد لها من استيلاء على القطر المصري... واني اكرر باننا متى أصبحنا اسياد البحر الأحمر فلا يطول بنا الوقت حتى نفرض ارادتنا على البريطانيين ونطردهم من الهند .. ومن السويس، نستطيع ان ننقل على عدد من السفن عدد أضخم من الجنود الى الهند في مدة لا تتجاوز 60 يوما بدلا من 6 أشهر التي تقضيها عملية النقل هذه عن طريق راس الرجاء الصالح "[3].

كذلك ادعت الحكومة الفرنسية عقب قيام الحملة ووصولها مصر، ان المماليك قد عصوا الباب العالي واستقلوا بالبلاد، وعاثوا فيها فسادا، غير مراعين في ذلك حقوق السلطان، ولما كانت

(1) محمد عبدالله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، **تاريخ العرب الحديث**. المرجع السابق، ص45.
(2) محمد رفعت، المرجع السابق، ص25.
(3) محمد عبدالله عودة، المرجع السابق، ص66.

فرنسا أقدم حليف لتركيا رات حكومة الجمهورية مساعدة الباب العالي، بالقضاء على فئة المماليك وتوطيد نفوذ السلطان بمصر، وقد سعت حكومة الإدارة في اقناع الباب العالي بهذا الغرض، بكل الطرق والوسائل فلم تفلح وسرعان ما درك السلطان أغراض فرنسا فاتحد مع اعدائها[1] .

2.II: سير الحملة واحتلالها لمالطا ومصر

لقد اختارت حكومة الثورة الفرنسية الجنرال نابليون بونابارت قائدا لحملتها على مصر، وزدت هذه الحملة القوية بكل ما يلزمها[2].

اخذ نابليون يعد ويحضر لحملته من ابريل 1898م[3]، وفي 19 مايو سنة 1798 م انطلقت من ميناء طولون[4]، وقد اطلق على جيشه هذا " جيش الشرق " وقد تألفت الحملة من 36455 من الضباط والجنود وضباط الأركان العامة ومن المدفعية والفرسان، والمشاة والمهندسين والخدمات الطبية، بالإضافة الى الخيول والمعدات الحربية، والمدافع الثقيلة ومدافع الهاون من مختلف الاعيرة، وهؤلاء يقلهم اسطول مكون من 300 سفينة يحرصها اسطول مكون من 55 سفينة حربية، منها 13 بارجة كبيرة و5 فرقاطات مسلحة بأسلحة مختلفة بين الثقيلة والخفيفة، كما اصطحب نابليون معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها، في مختلف نواحي المعرفة (الهندسة والطب والجغرافيا والفلك والادب والكيمياء والاقتصاد والاثار والمعادن والجيولوجيا وهندسة الري والقناطر والجسور والميكانيكا ..) علاوة على طائفة من المصورين والرسامين والنحاتين والموسيقيين وجميعهم مزودون بآلاتهم ومعداتهم[5].

(1) محمد رفعت، المرجع السابق، ص27.

(2) جاد طه، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**. (د ب ن: دار الفكر العربي، د س ن)، ص17.

(3) ناصر الانصاري، **المجمل في تاريخ مصر**. (القاهرة مصر: دار الشروق، 1993)، ص308.

(4) محمد رفعت، المرجع السابق،ص31.

(5) ناصر الأنصاري، المصدر السابق، ص308.

ولم يشهد البحر الأبيض المتوسط مثل هذا العدد الهائل من السفن والرجال، منذ الحروب الصليبية ولقد صادف هذه الحملة عند قيامها، نجاح وتوفيق عظيمان اذ تمكنت من الإفلات من رقابة (نيلسون)[1].

واستولت الحملة في طريقها على جزيرة مالطا[2]، ويروي صاحب مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية قصة الحملة على مالطا : "وقد استغللنا ظلمة الليل لانزال بعض الفرق على الشاطئ، واتممنا هذه العملية في اليوم التالي وحينما رأى المالطيون مناوراتنا، اتخذوا وضع الاستعداد للدفاع وراحوا يمطروننا بوابل من القنابل وقذائف المدفعية والرصاص، ولم يندهش جنودنا ولم تفتر عزيمتهم، بل مضوا قدما تحت حماية زوارق الأنقاض وهرعوا الى معاقل العدو، وراحوا يقتلون ويأسرون كل من اعترض طريقهم او قاومهم."

غير ان العدو تقهقر ليتخذ لنفسه مواقع جديدة انتظارا لمزيد من الهزائم، اما الفرنسية الذين اعتادوا طرق الحديد وهو ساخن فلم يكتفوا بهذه الانتصارات الأولية، بل مضوا قدما لملاحقة العدو يحصدون الانتصارات الواحد تلو الآخر".

وبعد قتال دام 24 ساعة اضطر المالطيون للاستسلام وترك الفرسان أسلحتهم وسلمونا مدينة وجزيرة مالطا دون قيود او شرط[3].

وسمح نابليون بونابارت لفرسان القديس يوحنا بمغادرة جزيرة مالطا[4]، وبعد احتلال مالطا أطلق نابليون سراح الاسرى الموجدين فيها، وكان نابليون يهدف من ذلك خدمة أهدافه الخاصة،

(1) محمد رفعت، المرجع السابق، ص32.

(2) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**. (القاهرة مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997) ص78.

(3) جوزيف ماري مواريه، **مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر**. تر كاميليا صبحي، (د ب ن: دار المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، ص24.

(4) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص78.

وبعد احتلاله لمالطا طلب من الاسرى المسلمين ان يقولوا بانه قضى على عش القراصنة وانقذ العالم الإسلامي من خطرهم وطلب منهم نشر ذلك الخبر في كل مكان[1].

وقد برر نابليون هجومه على الجزيرة بان اتهم حاكمها وهو رئيس الرهبان، فيها بانه متفق ومتحالف مع يصر روسيا، وانه كان يناوى الثورة في فرنسا، وان السفن الفرنسية لم تكن تجرؤ على الدخول في ميناء مالطا الا إذا اخفت علامها الفرنسي، وبعد تنظيم الحكومة الجزيرة ترك نابليون القائدي فوبوا (Vowbois) حاكما على الجزيرة ومعه 3000 جندي[2].

وعليه ابدى يوسف باشا استعداده لأرسال المؤونة والعتاد الى الجنرال فوبوا (Vowbois) الذي كان يضيق الحصار على مالطا وكان هذا الجنرال قد أرسل الى طرابلس مندوبا ناشطا استطاع ان يعود الى الجنود الفرنسيين بسفن عديدة تحمل ابقارا جمعت من السواحل الليبية بالتعاون مع يوسف باشا وبدا الطرفان في تبادل المراسالات والهدايا[3].

– الحملة على مصر –

وبالرغم من استعداد الباشا للتعاون مع فرنسا لكنه مازال لدى فرنسا ما يبرر مخاوفها، من ردة فعل تكون عنيفة وعليها عمل القنصل الفرنسي جيس على تهيئة نفسية الباشا لتقبل هذا الخبر عند وصوله اليه قبل وقوعه ممزوجا بجملة من الأكاذيب والافتراءات، كما ابدأ القنصل ليوسف باشا بان هذا العمل سيعود له بالمنفعة باعتباره متاخما لمصر التي يحكمها مراد بيك المملوكي الذي لا يحترم حقوق الجيرة، مع طرابلس بالإضافة ان علي الجزائري مازال يقيم بمصر وبالتالي فهو يشكل خطرا محتملا على طرابلس[4].

(1) عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**. تر: محمود علي عامر، (بيروت لبنان: دار النهضة العربية، 1989)، ص573.
(2) محمد رفعت، المرجع السابق، ص32.
(3) كوستاتريوبرنيا، المصدر السابق، ص244.
(4) امحمد سعيد سالم طويل، المرجع السابق، ص223.

وسار نابليون بونابارت في تلك النية قاصدا مدينة الإسكندرية وفي اللحظة التي يسبق فيها بونابارت[1]، وفي توجهه الى الإسكندرية يحرر بيانه الى جيشه والذي يعلن بشلك رسمي غاية وهدف الحملة : "انكم سوف تجترحون فتحا يصعب قياسي اثاره على الحضارة وتجارة العالم انكم سوف توجهون الى إنجلترا الضربة الاكيدة والمحسوسة أكثر من سواها انتظارا للحظة التي يتسنى لكم فيها توجيه الضربة القاتلة اليها .. اننا سوف نقوم ببعض التحركات المرهقة، وسوف نخوض عدة معارك وسوف ننجح في جميع مساعنا فالأقدار معنا، والشعوب التي سوف نتجه اليها هي تعامل النساء معاملة مختلفة عن معاملتنا لهن لكن من يمارس الاغتصاب وهو في جميع البلدان وحش، والنهب لا يثري غير عدد قليل من الرجال وهو يجردنا من الشرف، انه يدمر مواردنا ويجعلنا أعداء للشعوب التي من صالحنا ان تكون صديقة لنا. ان المدينة الأولى التي سوف نقابلها قد بناها الاسكندر وسوف نجد في كل خطوة تذكارات عظيمة جديرة بان يستلهمها الفرنسيون"[2].

واما الإنجليز لما بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة، وظنوا انها قاصدة بلادهم فحصنوا ثغورها، ولما تحققوا انها تقصد الديار المصرية، جهزوا 14 مركبا وساروا الى محاربتهم لأنه كان بين الانجليز والفرنساوية عداوة وحقود عظيمة، وحين دخلت مراكب الانجليز الإسكندرية ارسلوا قاربا يطلبون حاكم المدينة فتوجه الى مقابلتهم حاكم الإسكندرية السيد محمد عبد الكريم، وبعد وصوله للمراكب سألهم عن سبب قدومهم فاخبروه بانهم طالبون عمارة الفرنساويين لكي يصدوها، عن دخول الى ثغر الاسكندرية.

فارتاب السيد محمد عبد الكريم وقال في نفسه ما هذا الا خداع عظيم، واجابهم ان الفرنساوية غير ممكن ان يحضروا الى بلادنا[3] .

ولا لهم في ارضنا شغلا ولا بيننا عداوة ولا جلبنا عليهم رداوة، وهذا الكلام غير ممكن ان نصدقه وان حظروا كما تزعمون فنصدهم عن الدخول، وليس لهم الينا وصول وأما أنتم فليس لكم

(1) نقولا التركي، **الحملة الفرنسية على مصر والشام**. (بيروت لبنان: دار الفارابي، 990)، ص26.

(2) هنري لورنس وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام**.تر: بشير السباعي، (القاهرة مصر: سينا للنشر، 1995)، ص ص 57-58.

(3) نقولا التركي، المصدر السابق، ص ص 26-27.

الإقامة بهده الديار، وأما إذا جئتم تأخذون شيئا من الماء والمأكل فلكم الاختيار، فأجابه الانجليز أنتم لستم كفؤا لصد الفرنساويين، ولكن سوف تندمون على عدم قبولكم ايانا، وعلى ما يحل بكم تتحصرون وفي الحال أقلعوا من مقابل الإسكندرية، وكان ذلك في 27 جوان 1798[1].

فرجع السيد محمد عبد الكريم وهو حائر من ذلك البلاء العظيم، وفي الحال عرض ذلك الامر على مراد بيك مصر، وفي ثالث الأيام من بعد قيام المراكب من ثغر الإسكندرية عند العصر نفذ مركب عظيم في البحر، ولما قربا الى قناة السويس أرسل قاربا الى الاسكندرية، يطلب قنصل الفرنساوية ولما بلغ هذا الخبر اهل المدينة، خافوا خوفا عظيما وعقدوا ديوانا واتفق رأيهم على عدم توجه القنصل لكن القنصل سار في القارب الى المركب ثم اقبل العمارة العظيمة التي ليس لها عدد، فسقط على اهل الاسكندرية خوف عظيم، وهم جسيم حين نظروا وجه البحر المغطى من المراكب[2].

وفي صيف 1798م هبطت ارض مصر حملة فرنسية، يقودها الجنرال بونابارت وكانت هذه الحملة اول غزو عسكري اوربي في التاريخ الحديث لبلد عربي إسلامي، من بلاد الدولة العثمانية وإذا كان هذا الغزو قد سبقه سيطرت الدول الاستعمارية الكبرى (بريطانيا، فرنسا، هولندا) على دول وامارات إسلامية في أواسط اسيا وجزر الهند الشرقية الا انها هذه السيطرة الأوربية المبكرة لم تمس قلب العروبة كما فعلت حملة بونابارت على مصر[3].

وعندما وطأت اقدام بونابارت ارض مصر، علم بنبأ قدوم الاسطول الإنجليزي فأسرع في إنزال قواته ليلا، بمنطقة العجمي خوفا من مداهمة "نيلسون" لها قبل ان تتمكن من النزول الى البر، ثم تقدمت صوب الإسكندرية وما ان أصبح الصبح الا واكانت القوات الفرنسية تحاصر الاسوار المدينة كالجراد المنتشر، وفي مواجهتهم اعتصم أهلها بالقلاع والتحصينات القديمة، وحمل السلاح كل من

(1) هنري لورنس وآخرون، المرجع السابق، ص 59 .

(2) نقولا التركي، المصدر السابق، ص ص 27-28.

(3) عبدالعزيز محمد الشناوى، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر**. (مصر: مطبعة دار الكتب، 1981) ص 05.

كان قادرا على حمله من الرجال والنساء، وحدثت مناوشات بين القوات الفرنسية المتقدمة وبعض طلائع العربان التي خرجت من المدينة لإعاقتهم وانسحب العربان على أثرها الى داخل الاسوار[1].

وبعد مضي نحو ساعتين من النهار تملكت الافرنج الاسوار ودخلت المدينة قوة واقتدار، وكان ذلك في حزيران سنة 1798م، وطلبت الأمان الرعية من العساكر الفرنساوية، فأعطاهم امير الجيوش الأمان وعدم المعارضة والعدوان وكان قد قتل في ذلك النهار من المسلمين مئة قتيل ومن الفرنساوية شيء قليل، وانجرح جرحا كبيرا الجنرال (كلير)*.

وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر، وكان الغرض الأول منها كما قال بونابارت " رضخ شوكة الانجليز في الشرق، اذ لا طريق غير واد النيل للجيش الذي يناطوا به أداء هذا الغرض وكان بديهيا أن يفضي الاستلاء على مصر الى ضياع جميع المستعمرات الإنجليزية في أمريكا والهند، وأنه متى أصبح الفرنسيون أصحاب الكلمة العليا في مرافئ وموانئ إيطاليا وجزيرة مالطا والإسكندرية، صار البحر الأبيض المتوسط لا محالة بحيرة فرنسية "[2].

ومهما كان من الامر فان بونابارت هو أول من لفت نظر وانتباه الانجليز الى أهمية مركز مصر الجغرافي، في مفترق الطرق العالمية، وبالتالي الى أهميتها السياسية، والتجارية، والحربية، وهذه الحملة أساس التنافس الشديد التي قامت عليه السياسة الانجلو-فرنسية في مصر في القرن الماضي، ولما علم المماليك بنزول الحملة الإسكندرية قابلوا الخبر بغير اهتمام او اكتراث مزدرين شان الافرنج عامة ومحتقرين كفاءتهم الحربية، واقسموا انهم سيحصدون رؤوسهم حصدا، إذا قاتلوهم ثم اجتمع رؤساء المماليك (مراد بيك، وإبراهيم بيك ومعه الباشا التركي السيد بكر)، وقرر الراي ان يرسلوا قوة تبلغوا 6000 من فرسان المماليك، ومن الجنود الأتراك بقيادة مراد بيك لاستطلاع قوات الفرنسين، وكانت

(1) محمد محمود السروجي، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**. (د ب ن: د د ن، 1998) ص16.

* الجنرال كليبر 1753 1800 تطوع في الجيش الفرنسي الثوري عام 1792 حيث رقي إلى رتبة جنرال في هذا الجيش ساهم في الحملة على المتمردين على الملكيين غرب فرنسا، وفي الحملة على ألمانيا وفي حملة بونابرت على مصر 1798.

(2) نفس المرجع، ص 17.

الاخبار قد وصلت بسقوط الإسكندرية، وزحف الفرنسيون القاهرة عن طريق الصحراء، والتقى الفريقان عند (شبراخيت) [1].

– موقعة امبابيا (الاهرام) 21 جويلية1798 –

وصل الفرنسيون الى امبابيا وعسكروا بينها وبين الجيزة بمرأى من اهرام الجيزة الذي أشار اليه نابليون، وقال مخاطبا جنوده قبل الموقعة "ان أربعين قرنا تنظر اليكم" وقد وقف الفرنسيون في مربعاتهم وقد وضعوا خطتهم بحيث يحولون دون وصول المماليك الى استخداماتهم في امبابة، ثم يدفعونهم نحو النهر فأما يلقوا بأنفسهم فيه او يفروا هاربين الى الصحراء، وفي هذه الموقعة "امبابة " او "الاهرام" اظهر مراد بيك ومن معه من المماليك منتهى الشهامة والبطولة، غير مبالين بالنيران ولا مكترثين للموت فكانت هجماتهم على المربعات الفرنسية لا تلبث ان تنكسر امام بنادق العدو، وماذا كان تحدي بطولة المماليك وفروسيتهم امام جيوش حديثة منظمة يقودها نابليون؟ لقد تهشمت قوة المماليك في ساعات قليلة، ولم يبق من المماليك سوى جماعة غير منظمة، عددها أربعة آلاف، فرت الى الصحراء او الى الصعيد مع مراد بيك الذي اخذ يحرق السفن التي تحمل الذخيرة حتى لا يقع في ايدي العدو[2].

ما ان استقر نابليون في مصر حتى شرع في إرساء نظم جديدة للحكم لتحل محل النظم العثمانية والمملوكية، كما أرسل علماء يجوبون مصر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من أقصاها الى أقصاها، يبحثون ويؤلفون ويدونون ويرسمون كل ما تقع عليه أعينهم ليخرجوا لنا فيما بعد بكتابهم الشهير DESCRIPTION D'EGYPTE أو وصف مصر وهو يعد تقرير للواقع المصري من شتى النواحي وقت الحملة[3].

(1) محمد صبري، **تاريخ العصر الحديث مصر من محمد علي إلى اليوم**. ط2، (د ب ن: مطبعة مصر مشتركة مساهمة مصرية، 2000)، ص26.

(2)محمد رفعت، المرجع السابق، ص ص، 33.

(3) ناصر الأنصاري، المصدر السابق، ص209.

وأعلن بونابارت أنه ما قدم مصر إلا للاقتصاص من المماليك، أعداء السلطان وتخليص الشعب المصري من ظلمهم وأنه لم يمس حقوق الدولة العثمانية في مصر، وكان يرمي من وراء ذلك إلى خداع الباب العالي[1].

وبعد وصول الحملة للإسكندرية وبلغ الخبر الى يوسف باشا عن طريق بك بنغازي فأثار مخاوفه[2].

وبالرغم ان يوسف باشا قد استوعب الحدث وكأنه قضاء وقدر، الا ان سياسة فرنسا الاحتلالية كانت تثير في نفسه الخشية من ان تتعرض ليبيا للاحتلال الفرنسي، وتتحول قاعدة لمواصلة احتلال بقية الأراضي المغربية، وفي نفس الوقت كان يعول على الانتصارات الفرنسية في أوربا، وسيطرتها على البحر المتوسط في تحقيق أهدافه الخاصة المتمثلة في التوصل الى الاستقلال التام وفصل الايالة عن الدولة العثمانية[3].

- موقعة ابي قير البحرية -

كان قلق إنجلترا كبيرا من هذه الحملة، خاصة وان تجارتها ومستعمراتها في الهند أصبحت مهددة لذلك عملت بكل ما في وسعها لطرد الفرنسيين من مصر، وبقي الاميرال الإنجليزي (نيلسون) لوقت طويل في جبل طارق وبعدها قرر متابعة الفرنسيين فبحث عنهم في صقلية وكريت واقسم انه سيعثر عليهم حيث قال "المهم ان يكونوا فوق الماء" ولما علم بوجهة الاسطول الفرنسي الى مصر تبعه[4].

---

(1) عزت حسن أفندي الرارنرلي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني**. تر: جمال سعيد عبدالغني، (د ب ن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998)، ص22.

انظر ايضا عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الأثار في التراجم والأخبار**. تح: عبدالرحيم عبدالرحمان عبدالرحيم، ج3، (القاهرة مصر: دار الكتب المصرية، 1998)، ص ص، 4-5.

(2) نفس المصدر، ص224.

(3) نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص204.

(4) كمال حسنة، **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807م**. رسالة ماجيستير: جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2006/2005، ص 106.

وبعد عشرة أيام من دخول الفرنسيين القاهرة، قدم الاسطول الإنجليزي بقيادة نيلسون[1] وقام بتدمير الاسطول الفرنسي عند ابي (قير*)في الفاتح من شهر اوت سنة 1798م، وعلى الرغم من كثرة السفن الحربية الفرنسية فان نيلسون استطاع بمهارته وسرعته ان يشق الاسطول الفرنسي شقين، ويحصر الجزء الأكبر منه بين نارين من اسطوله، وهكذا دمر الجزء الأكبر من الاسطول الفرنسي[2].

وقد استاء الأهالي في اول الامر لقيام نابليون بجباية الضرائب والاستدانة، من التجار للاستغاثة بها على الانفاق على الجيش ولكنهم سروا من جهة أخرى اذ رأوه يعاملهم بالحسنى، ويحترم عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم ويصون حقوقهم واموالهم ويضرب النقود باسم السلطان، ويتتبع اللصوص ويشدد في حفظ الامن والنظام[3].

ولكن رضا الأهالي على حكم بونابرت في القاهرة لم يستمر طويلا، فقاموا بثورتهم الأولى 21 أكتوبر 1798م وكان الرد هو الضرب القاهرة بالقنابل وتخريب بعض القصور والبيوت وأعدم قادة الثورة.

عم السلب والقتل والنهب انحاء القاهرة لما ظهر من بطش الفرنسين تجلت المقاومة الشعبية قبل الجنرال (كلير) على يد (سليمان الحلبي) في 14 يونيو 1800م فتولى القيادة بعده الجنرال (مينو) ولكنه كان ضعيفا فنثر منه الفرنسيون والمصريون معا[4].

وفي سنة 1801م تحالف الاسطول البريطاني مع الاسطول العثماني والنمساوي في القضاء على الوجود الفرنسي فاضطر الجيش الفرنسي الاستسلام والانسحاب في أكتوبر 1801م، ودخلت فيه النمسا حبا في ان تستعيد نفوذها في إيطاليا وتركيا، التي ضاعت مصر من يدها وروسيا التي لم

(1) عزت حسن أفندي الرارنرلي، المرجع السابق، ص22.

* هي مدينة قديمة تقع على شاطئ البحر تبعد بثلاثة فراسخ عن الإسكندرية من جهة الشرق. مارمول كربخال، **إفريقيا**. تر: محمد حجي وآخرون، ج3، (الرباط المغرب: دار النشر المعرفة، 1984)، ص 372.

(2) محمد رفعت، المرجع السابق، ص37.

(3) ناصر الأنصاري، المصدر السابق، ص ص، 209–210.

(4) أحمد نجيب هاشم، محمد مأمون نجا، **أطلس تاريخ القرن التاسع عشر**. (مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1938)، ص20.

يرقها تدخل فرنسا في الشرق والبحر الأبيض المتوسط(مالطا)، وعادت مصر التبعية العثمانية، ولكنها تبعية شكلية فالأحداث التي مرت بها البلاد جعلت الشعب يدرك ان حكامه من العثمانيين او المماليك على السواء غير قادرين عن الدفاع والذود عنه[1].

II.3: التقارب الطرابلسي الفرنسي وموقف الدولة العثمانية وانجلترا منه.

II.3.1: التقارب الطرابلسي الفرنسي:

سارع يوسف باشا لإرضاء القنصل الفرنسي (الفونسو جيس) الغاضب من انتهاك جنود الباشا لحرمة مبنى القنصلية واطلاقهم صراح احد زملائهم، الذي سجنه القنصل بسب اعتدائه على يهودي بالضرب، حيث كان يعمل هذا الأخير مع جماعة يقودهم احد ضباط الباشا، حيث هرب اليهودي والتجأ الى القنصلية الفرنسية، هناك لحق به الضابط المسؤول عنه وتمكن من القبض عليه عند باب القنصلية وقام بضربه، رغم احتجاجات خدم القنصلية، وعنما سمع القنصل الفرنسي صراخ اليهودي المضروب هرع نحوه وحاول حمل الضابط على الكف عن ضربه، غير ان الضابط امتنع عن ذلك فما كان من القنصل الا ان امر بالقبض عليه وهو نفسه واحتجازه في حبس القنصلية[2].

وبعد ذلك توجه مجموعة من حراس يوسف باشا الى القنصلية واقتحموها وانهالوا ضربا على خدمه، مهددين القنصل نفسه، فاحتج القنصل جيس رسميا على هذه الإهانة وطالب بتعويض فوري.

وأثر هذا الحادث قرر فباطنة السفن الفرنسية الراسية آنذاك في ميناء طرابلس، ان يبحروا الى فرنسا ليعودوا بتعزيزات لانزال العقاب الشديد بحاكم الايالة.

الا ان يوسف باشا اعلم القنصل الفرنسي برغبته في تسوية المسألة بطرق سلمية[3].

---

(1) ناصر الأنصاري، المصدر السابق، ص 211.

(2) كوستاتريوبريتا، المصدر السابق، ص244.

(3) نيكولاي إيليتش بروشين، **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتي مطلع القرن العشرين**. تر: عماد حاتم، ط2، (بيروت لبنان: دار الكتاب الجديدة، 2001)، ص ص، 202-203.

وقد توصل القنصل الفرنسي إزاء ذلك الى تلبية العديد من مطالبه:

- اعتذار يوسف باشا عن ارساله المسلحين الى القنصلية لأطلاق سراح مواطنه.
- زج القوة التركية التي طوقت القنصلية في السجن.
- تم الاتفاق على ان تطلق قلعة المدينة 21 طلقة تحية عند رفع العلم الفرنسي.
- أصدر يوسف باشا امره الى رعاياه باحترام القنصلية، وتم التوصل فضلا عن ذلك الى اتفاقية تتعلق بحماية منازل قناصل الأجانب.

واستغل الباشا هذا الحادث فقام بزيارة مبنى القنصلية، والتعبير عن شكره وامتنانه من الموقف الذي اتخذته الحكومة الفرنسية الممثلة في سفيرها بالاسيتانا الذي طلب من السلطان ترك القرمانلين وشانهم[1].

لهذا فان يوسف باشا استغل هذا الموقف، وأرسل خطاب شكر وتقدير للسفير الفرنسي في الاسياتانة بتاريخ 10 ربيع الأول 1210هـ الموافق 24 سبتمبر 1795م شكره فيه على ما فعلته الحكومة الفرنسية، من اجل مصالحنا لدى السلطان الأعظم. وكان هدف الباشا من هذا الخطاب تغطية لما حصل من اعتداء ضد القنصل الفرنسي، ومن ناحية أخرى أراد توثيق صداقته بفرنسا[2].

وفي الوقت نفسه فان فرنسا عملت على توثيق صداقتها مع يوسف باشا، بسب ان الحرب بينهما وبين إنجلترا، كانت من أهمية نيابات الغرب في نظرها بما فيها نيابة طرابلس الغرب[3].

وفي نفس الفترة وصل الى طرابلس العقيد اللواس دي هير كوليه ALLOIS D HERCULAIS حيث كلفته (جمعية الخلاص العام) بمأمورية خاصة حيث أرسل يوسف باشا جواده الخاص وعليه سرج فخيم، كما قام باشا في 4 يونيو1796م بإطلاق سراح مركب برتغالي موسوق

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص374.

(2) محمد الهادي عبدالله أبو عجيلة، **النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711–1835 وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**. (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، 1997)، ص ص، 196-197.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص138.

قطن وتبغ لوجود تاجر فرنسي على ظهره، إضافة الة إطلاق مركب سويدي موسوق بتاريخ 17 يونيو 1796م وفي 23 أفريل 1798م استجاب الباشا لاحتجاز القنصل الفرنسي على اسر مركب موسوق شمع لجواز سفره الفرنسي[1].

وهكذا فان الباشا اخذ يظهر صداقته لفرنسا، خاصة في هذه الفترة لأنه لا يريد الدخول معها في صراعات لا قدرة له عليها، عندما اخذا القنصل الفرنسي جيس يضع العراقيل امام السفن الليبية، وعدم إعطائها تأشيرة مرور لدخول في الموانئ الفرنسية[2].

فان الباشا طلب في رسالة وجهها الى وزير الخارجية الفرنسية، تغيير هذا القنصل على اعتبار انه يضع العراقيل امام الصداقة القائمة بين البلدين، حتى لا تحدث حرب بينه وبين فرنسا خلال هذه الفترة ويسود السلام بين البلدين، فاستجابت فرنسا بطلبه لأنها كانت اشد منه حرصا على كسبه بجانبها في هذا الوقت لكي تستطيع تنفيذ مشاريعها الاستعمارية خاصة الحملة على مصر[3].

وبعد احتلال بونابرت لمصر اخذ يفكر في الحصول على نقطة ارتكاز يمكن من خلالها مواجهة أي تحرك من جانب الاسطول البريطاني، وفي الوقت نفسه تكون حلقة اتصال بين باريس والحملة على مصر ومنها نستطيع تزويد مالطا بالمؤن، فوقع نظره على طرابلس الغرب لموقعها الاستراتيجي الهام وقربها من مالطا ومصر[4].

ومن جهته (نابليون) عمل منذ اللحظة الأولى لاحتلاله لمالطا ومصر على توطيد علاقاته مع يوسف باشا وأطلق سراح جميع الاسرى المسلمين الطرابلسيين المسجونين في مالطا[5].

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص138.

(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص221.

(3) محمد الهادي عبدالله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص198.

(4) نفس المرجع، ص 199 .

(5) عبدالرحمان الجبرتي، **عجائب الأثار في التراجم والأخبار**. تحقيق: حسن محمد جوهر وآخرون،ج3، (القاهرة مصر: منشورات لجنة البيان العربي، 1969)، ص323.

وعليه فان سياسة التي سلكها بونابرت تجاه الأسرى الطرابلسيين وإطلاق سراحهم، كان له إثر طيب في إرضاء يوسف باشا والأهالي وبالتالي رد يوسف باشا على بونابرت مطمئننا إياه لأنه سوف يعامل كل المالطيين من ذلك الوقت بنفس الاحترام الذي يخص به الفرنسيين[1].

وأصبح تموين الجزيرة امرا اعتياديا الى ان قام الانجليز باحتلال الجزيرة سنة 1800م[2].

II.2.3: موقف الدولة العثمانية وانجلترا من التقارب الطرابلسي الفرنسي:

بعد ان قامت البحرية الإنجليزية بتدمير الاسطول الفرنسي في ابي قير فهذه الهزيمة الكاملة لفرنسا في البحر جردت الحملة العسكرية الفرنسية من إمكانية الاتصال المنتظم مع فرنسا ومنه أصبحت ايالة طرابلس الغرب حلقة اتصال أساسية بين جيوش فرنسا في مصر وبين حكومة نابليون في فرنسا، فحصار الاسطول الإنجليزي للشواطئ المصرية اضطر نابليون للجوء ليوسف باشا الذي سمح له باستخدام ارضي الايالة من اجل نقل التعزيزات والذخائر الحربية والمعدات الى جيوشه ومنذ ذلك الحين صار القنصل الفرنسي يؤمن ويضمن تواصل الموقف الودي ليوسف باشا نحو الحملة الفرنسية في مصر، وبالإضافة الى ذلك كان من بين مهامه اقناع الباشا بان نابليون معتنق الإسلام ويود ان يطبق سياسة موالية لهذا الدين، وكدليل على ذلك اطلع القنصل يوسف باشا على نية نابليون بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وتقديم مساعدات للحجاج العائدين من الأراضي المصرية[3].

وعليه فقد وصل اول طرد عن طريق البر ارسله بونابرت بواسطة الحجاج، ومن جهة أخرى الا وهي الدولة العثمانية وهو الباب العالي، فقد أصدرت الاوامر الى يوسف باشا بقطع أي تعامل مع الفرنسيين[4]، واكد الباب العالي في رسالته الى ان فرنسا تعتبر العدو الحقيق للمسلمين وان التعاون معها مغيارا للمصالح العلية. وكانت هذه الأوامر وفقا للمحادثات التي دارت بين السفير البريطاني

(1) محمد الهادي عبدالله أبوعجيلة، المرجع السابق، ص199

(2) نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص204.

(3) نفس المصدر، ص ص، 204-205.

(4) كوستاتريوبرنيا، المصدر السابق، ص 245.

والباب العالي، وهكذا نجحت السياسة البريطانية في كسب الدولة العثمانية الى جانبها، مما اثار مخاوف يوسف باشا وأصبح موقفه غاية في الحرج[1].

ولما لم يحرك الفرمان الأول الذي بعثه السلطان العثماني، الى يوسف باشا طرابلس قام بإرسال فرمان ثاني يؤكد فيه بإلحاح على مطلبه الأول، بوقف أي علاقات مع فرنسا والقبض على القنصل الفرنسي وعلى التجار الفرنسيين ووضعهم تحت الحراسة، وتضمن الفرمان أيضا امرا الى يوسف بمنع المؤونة على السفن الفرنسية، وبمهاجمة هذه السفن في المتوسط ومصادرة جميع ما عليها من بضائع واموال واسترقاق طواقمها[2].

لكن يوسف باشا لم يهتم بهذا الإنذار أيضا، واستمر في تزويد مالطا بما تحتاجه من المواد الغذائية، وأرسل رسالة الى السلطان العثماني ردا على انذاره السابق، وباطلاع على هذه الرسالة نجد ان يوسف باشا لم يتطرق فيها الى الحديث عن موضوع قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا[3].

لم يرضى سلطان العثماني بذلك الرد فجدد ثانية تعليماته التي سبق وأرسل بيها الى يوسف باشا، الا ان هذا الأخير ظل على علاقاته السابقة مع فرنسا، على الرغم من التعليمات الجديدة[4].

وظل يوسف باشا يتلقى الموارد الكبرى من تمويل الفرنسيين بالمواد الغذائية، وتامين خطوط اتصالهم بالحملة المحصورة متجاهلا فرمانات السلطان العثماني، ولم يرق هذا الموقف للإنجليز لان جهودهم في حصار الفرنسيين في الشمال الافريقي منيت بالفشل وباءت بالخسران، وانطلاقا من ذلك اتخذ الاميرال نيلسون قرارا بتسديد ضربة مباغتة للأسطول الطرابلسي، ولكن سرعان ما صرف

(1) محمد عبدالهادي عبدالله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص ص، 200-201.

(2) نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص205.

(3) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص89.

(4) نيكولاي إيليتش بوشين، المصدر السابق، ص206.

النظر عن هذه الخطة اخذا الوضع المعقد بعين الاعتبار، وتقرر ارسال انذار الى يوسف باشا عن طريق الباب العالي، يطالب فيه بقطع العلاقات مع فرنسا واجلاء الجالية الفرنسية عن طرابلس[1].

ففي منتصف شهر مايو جاءت الاخبار الى يوسف باشا، بان مندوبا من قبل الباب العالي في طريقه الى طرابلس، بعد ان حمل أوامر من السلطان الى داي الجزائر والى بك تونس، فأخبر الباشا القنصل بوسيه حتى يسرع بنقل المؤونة المخصصة لجزيرة مالطا، وتظاهر بانه يقوم ببعض الاعمال ضد الفرنسيين، كما امر يوسف باشا بإنزال العلم الفرنسي، ووضع مسكن القنصل تحت الحراسة المشددة، ولكن هذه الإجراءات كانت وقتية وهمية حيث انتهت بمجرد مغادرة المندوب العثماني[2].

حيث سارع الباشا بإطلاق سراح القنصل الفرنسي وجميع رعايا فرنسا واستأنف القنصل عمله واكد الباشا للقنصل انه لن يعود الى ذلك مجددا[3].

غير انه قد وصل مندوبا اخرا في 16 أفريل 1799م على ظهر سفينة عثمانية، محملة بذخائر حربية مرسلة كهدية الى يوسف باشا، وكان يحمل امرا عاليا من السلطان سليم الثالث، يطلب فيه من يوسف باشا ان يقود جيوشه الى مصر، للهجوم على الفرنسيين من الجهة الغربية بينما يهاجم جيش سوريا من الجهة الشرقية.

الا ان يوسف باشا لم يجد صعوبة في اظهار استحالة تنفيذ هذا الامر، نظرا لعدم كفاية قواته العسكرية، والعسر المالي الذي كان يرزح تحته[4]، وبعد ذلك بخمسة أيام وصل مندوبا اخر من قبل الباب العالي، حيث طلب يوسف من باشا ان يسلم اليه جميع الفرنسيين، لكن يوسف رفض ارسال الحملة الى مصر كما رفض تسليم الفرنسيين[5].

(1) المصدر السابق، ص206.

(2) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص143.

(3) محمد عبدالهادي عبدالله أبوعجيلة، المرجع السابق، ص203.

(4) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص ص، 92-93.

(5) شال فيرو، المصدر السابق، ص378.

اثار رفض حاكم طرابلس الغرب المشاركة في العمليات الهجومية الاستياء في إسطنبول ولندن، ولم تمض بضعة أيام حتى ظهر في طرابلس مبعوث انجليزي هو الكابتن (هاردي) الذي تمكن من الحصول على تأكيدات، من الباشا بانه لن يقدم أي مساعدات وإمدادات لفرنسا[1].

ونتيجة لتشكيك نيلسون في نوايا الباشا ارسل بتاريخ 9 مايو 1799م، نائبه الاميرال كامبل (campell) الى طرابلس لحمل الباشا على تنفيذ قرارات السلطان، وبما قدمه الباشا من تأكيدات حيث وصلت السفينة التي تقل كامبل والقنصل لوكاس الى ميناء طرابلس، اطلقت لها مدافع القلعة التحية المعتادة، وتوجه كامبل بصحبة لوكاس اثر نزولهم الى مقابلة الباشا، وسلم اليه انذار نهائيا بضرورة تسليم القنصل الفرنسي بوسيه (Bousset) وبقيت الجالية الفرنسية، بضرورة تنفيذ قرارات السلطان وعندما رفض باشا هذا الإنذار هدد كامبل بقذف المدينة بالقنابل ان لم يستجب لطلبه[2].

حيث يقول كستانزوبيرنا انه عندما رفض الباشا القرمنلي هذا الطلب تمكنت البارجة من حرق سفينتين وأسرى واحدة من السفن تابعة الى الباشا، ثم استعدت لقذف المدينة بالقنابل، فاستسلم الباشا امام القوة ورفع العلم الأبيض على السرايا، وبدأت المفاوضات بين الطرفين، كامبل والباشا ولقد لعب الباشا دورا حاول فيه اللعب بالقنصل الإنجليزي، ثم سلم له السيد بوسيه واثنين من صف ضباط ورؤساء السفن الفرنسية، والبحارة الذين كانوا بالميناء[3].

وبالرغم من ذلك التصرف من جانب يوسف باشا، فان العلاقات بينه وبين فرنسا لم تتأثر بما حدث، ولعل السبب في ذلك يرجع الى تأكد فرنسا من نويا يوسف باشا وفي 20اكتوبر 1800م أرسل رسالة الى قنصل فرنسا في تونس ديفواز devoise يؤكد له فيها عن سياسته الودية نحو فرنسا، ويظهر اسفه لما حدث، كما عبر فيها عن استعداده لتقديم أي مساعدة تطلب منه[4].

(1) نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص207.

(2)عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 93.

(3) كوستابريوبرينا، المصدر السابق، ص245.

(4) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص96.

ويبدو من هذا ان يوسف باشا يهدف من وراء ذلك لسياسة تبادل المصالح خاصة بعد عودة نابليون الى فرنسا وتوليه منصب رئيس الدولة الفرنسية وكان يوسف باشا يأمل في الحصول على فوائد كثيرة، عن طريق ارسال المساعدات الى الجيش الفرنسي في مصر بأراضي طرابلس الغرب[1].

وفي سنة 1801م دخل يوسف باشا بصورة سرية في مفاوضات مع شخص مفوض من قبل نابليون هو (سوقير يوناوودي) وجرت المفاوضات بصورة غير رسمية، لكي لا يلفت انضار الانجليز الذين كان يمكن ان يضغطوا على يوسف باشا.

وسرعان ما تم التوصل الى الموافقة على ابرام معاهدة[2] اذ قررت:

- المادة 39: حرية الاتصالات البرية بين مدن ولاية طرابلس الغرب ومدن مصر وتوفير تسهيلات لها اما بقصد نقل منتوجات البلدين عن طريق القوافل والوسائل والأخرى واما نقل المسافرين
- المادة 40: ان الامدادات الفرنسية التي يتم انزالها في طرابلس وبنغازي ودرنة تنقل الى مصر بواسطة القوافل، كذلك بشحن كل ما يرد من مصر من الموانئ الفرنسية، وكان ذلك تابع للحكومة او الافراد[3]

يتضح من عقد هذه المعاهدة، انه رغم جهد السلطان العثماني والبريطانيون في اخراج الفرنسيين من مصر، نجد يوسف باشا يساعد الفرنسيين على البقاء في مصر[4].

هذا من جهة اما من جهة الأهالي فقد كان موقفهم معادي لما يتخذه يوسف باشا تجاه فرنسا من مساعدات وتسهيلات، حيث أطلق أهالي مدينة درنة نيران بنادقهم ضد

(1) محمد عبالهادي عبدالله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص212.

(2) نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص208.

(3) أتوري روسي، المصدر السابق، ص378.

(4) عبد المنعم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**. (القاهرة مصر: دار الفكر العربي، 2008)، ص77.

القوات الفرنسية، المزمع تنزيلها في ميناء درنة، تونس لمواصلة السير نحو الإسكندرية هذا جعل غانتوم يعدل عن فكرة إنزال الجنود الفرنسيين، ورجع أدراجه الى ميناء طولون[1].

(1) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص97.

الفصل الثاني

الصراع الفرنسي الإنجليزي

حول طرابلس الغرب

1801 - 1830

III.1. العلاقة الإنجليزية الطرابلسية اثناء الحرب الامريكية الطرابلسية

لقد اهتمت الولايات المتحدة الامريكية منذ حصولها على استقلالها على ضمان وسلامة مرور سفنها التجارية في مياه البحر الأبيض المتوسط ودون التعرض لها من قبل أساطيل ايالات الشمال الإفريقي، وتطلب ذلك إقامة علاقات سياسية مع هذه الايالات، وانشاء قنصليات لها فيها، ومن بين هذه الايالات العثمانية ايالة طرابلس الغرب، التي كان أسطولها آنذاك يلعب دورا بارزا في مياه المتوسط، وحاول حاكمها ان يفرض هيمنته وسيطرته وسيادته على الدول التي تتخذ هذا البحر مجالا لنشاطها التجاري[1].

وهنا تختلف الروايات حول دفع الو.م.أ الإتاوة أثناء تعيينها للقنصل الجديد، اما انها تماطلت في دفع ما عليها من ديون، فنجد مثلا عمر بن إسماعيل يقول "وتماشيا مع هذه الفكرة حضر القنصل الأمريكي الى طرابلس سنة 1799م محملا بالهدايا الى الباشا فاستقبله يوسف باشا بكل ترحاب واتفق معه على قيمة الاتاوة السنوية والهدايا"[2].

وعليه فان حسب هذه الرواية نرى ان الباشا دفعت له أمريكا الاتاوة، ورغم ذلك أعلن عليها الحرب، لكن نجد عبد الله خليفة الخباط يقول "اتفقت حكومة الوم أ مع حكومة طرابلس على انشاء قنصلية بمدينة طرابلس، وتعيين القنصل امريكي جديد هو السيد (كات كارت) مقابل تقديم مبلغ مالي، غير أن حكومة الو.م.أ لم تف بوعدها وارسلت قنصلها الجديد دون تسديد هذا المبلغ، فرفضت الحكومة استقباله ولم تسمح له بالنزول[3].

وأرجح من الروايتين السابقتين ان الوم أ لم تدفع الاتاوة، بل طلبت بتخفيضها قبل دفعها حسب ما ذكر احمد النائب بك في كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب حيث يقول:" ...ثم

(1) عبدالله خليفة الخباط، **العلاقات السياسية بين ايالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795**/1832 (طرابلس ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1985)، ص67.

(2) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص101.

(3) عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص68.

طلب قنصل الأمريكان من يوسف باشا معاهدة معه مثل معاهدة السويد، لان أساطيل طرابلس الحربية كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر ويفتكون بهم فكلفه بإعطاء مبلغ جسيم، فطلب القنصل تخفيض بواسطة حسن باشا والي الجزائر فرفض يوسف باشا مداخلته وأصر على طلبه، وحمل حرسه على الخوف واستأنف غزوهم والفتك بهم فأثخن وغنم".

لم تتوقف الأحداث عند هذا الحد، بل زاد الامر تعقيدا بإرسال الحكومة الامريكية لعدة حملات عسكرية، والتي كانت بدايتها سنة 1802م، حيث أرسلت أربع سفن حربية بقيادة نائب الاميرال بريبله (Breble)، لكنها منيت بالفشل[1]، وفي 21 أكتوبر 1803م كانت الفرقاطة (فيلادلفيا) بقيادة الكابتن بيندريج (Baindrige)، وقد تقدمت فرقاطة نحو ميناء طرابلس وهي تلاحق مركبا طرابلسيا[2]، فجنحت على الشاطئ وتم القبض عليها واسر بحارتها وضباطها[3].

لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا حيث قامت الحكومة الامريكية بإرسال لحملة حيث تمكنت من الوصول الى سفينة فيلادلفيا وتمكنوا من اضرام النار فيها، وعلى إثر هذه الحادثة استطاعت أمريكا ان ترد الصاعة بصاعين، وان تتحد هذا الباشا، كما استبشرت الدول الاوربية خيرا، ورات انه من الممكن تحدي يوسف باشا واجباره على قبول شروطها[4].

وبالرغم من الحصار الذي كانت السفن الامريكية تضربه على طرابلس، لم يرضخ يوسف باشا لها، بل انها اتجهت الى القنصل المكلف بإدارة شؤون القنصلية الإنجليزية ماك دونوج (Mac.Donough)، بسبب غياب قنصلها (لوكاس)، حيث طلبت تقديم المساعدة لكنه رفض هذا

(1) كوستانزيابرنيا، المصدر السابق، ص247.

(2) أتوري روسي، المصدر السابق، ص380.

(3) نقولا زياد، **محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال**. (د ب ن: معهد الدراسات العالمية، 1958)، ص47.

(4) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص107.

الطلب بحجة ان الحكومة الإنجليزية تحرص من جانبها على استمرار العلاقة الطيبة بينها وبين طرابلس الغرب[1].

وعليه عملت الحكومة الامريكية على إشعال نار الفتنة بين طرابلس الغرب وانجلترا، فتعرضت لاحد السفن المالطية التي تقل ممتلكات الباشا، وكانت تحمل العلم الإنجليزي على ساريتها، حيث هذا الحادث كان له إثر عميق في نفوس الرعايا الانجليز، والقنصل الإنجليزي بإيالة طرابلس الغرب والذي سبق ان تعهد مع بقية قناصل الدول الاوربية على حماية وممتلكاته على ظهر السفن الإنجليزية المالطية، التي لم تحمل العلم الإنجليزي.

لكن الباشا بدوره لم يعر لهذا التصرف اهتماما، الذي كانت تسعى من وراه الحكومة الامريكية الى زرع الفتنة بين الانجليز وايالة طرابلس، واكتفى باستدعاء القنصل الإنجليزي (لا نجفورد)، لاستفسار منه فابلغه بانه اوفد (ماك دونوج) الى جزيرة مالطا للتحقيق في هذا الامر مع الحاكم العسكري الإنجليزي للجزيرة (الكسندر بول)، ومحاولة إيقاف مثل هذه الأعمال من قبل الاسطول الأمريكي بالبحر المتوسط لأنها قد تسيء إلى العلاقات الانجليزية الطرابلسية.

وبعد أن علم يوسف باشا بمؤامرة الأمريكيان مع شقيقه احمد، الذي نزل بقوة مدعمة من أمريكا في درنة واستطاع ان يسيطر عليها، أرسل يوسف باشا بطلب الى القناصل المعتمدين بالإيالة عدم ابحار او اقتراب السفن الأجنبية التابعة لهم من الشرق للإيالة، على أثر النزاع الذي حدث داخل الاسرة القرمنلية ووصول أخيه احمد، الذي كان منفيا في مصر بتأثير السياسة الامريكية، فقد أصدر لانجفورد أوامره على الفور الى جميع السفن الإنجليزية بالابتعاد عن شواطئ مدينة درنة[2].

وبعد ان رفعت الراية الامريكية فوق درنة، شعر يوسف باشا بالخطر الوشيك الذي يهدد استقلال وامن الولاية فطلب تدخل القنصل الإنجليزي وحسين باشا والي الجزائر، اللذين حققا

(1) عبدالله خليفة الخباط،، المرجع السابق، ص69.

(2) نفس المرجع، ص71.

الاتفاق بين أمريكا والأمير القرمنلي[1] في عقد معاهد سلام سنة 1805م[2] مكونة من 20 مادة تعاهدت فيها حكومة الوم أ بدفع 60 ألف دولار، مقابل إطلاق سراح الاسرى الامريكان، كما تعهدت حكومة الو.م.أ بإعادة احمد باشا الى منفاه في مصر، وعينت الحكومة الامريكية قنصلا جديدا لها بالإيالة[3].

III.2: تراجع العلاقات الطرابلسية الفرنسية 1801م-1805م:

تميزت هذه المرحلة عموما بالتراجع، وكانت هناك عدة أسباب وعوامل ساهمت في فتور العلاقات بين البلدين نذكر منها:

III.2.1: زيادة التقارب مع إنجلترا :

كان يوسف باشا القرمنلي، يطمح من وراء سياسته الموالية لفرنسا طوال تواجدها في مالطا ومصر، بالرغم من المعارضة الشعبية لهذه السياسة وضغوطات العثمانية الإنجليزية عليه إلى حماية طرابلس من مغبة الزحف الفرنسي عليها من ناحية وحصوله من فرنسا بأنه في حالة انتصارها على الدولة العثمانية لتوقيع معاهدة الاستسلام، يجب أن تتضمن هذه المعاهدة حصول طرابس على استقلالها بالكامل وبالتالي إزالة الخوف من ظهور علي الجزائري جديد يمكن أن يهدد الحكم القرمنلي[4].

ولكن عندما تأكد من هزيمة فرنسا، وابتعادها عن الحدود الليبية بالإضافة إلى أن مخاوفه من معاقبة السلطان وحليفته إنجلترا على موقفه السابق الموالي لفرنسا بعدم إعلانه الحرب عليها، واستجابة لنداءات السلطان المتكررة لم تكن في محلها، إذ لم يكن في أولويات الدولة العثمانية ولانجلترا الدخول معه في الحرب بقدر ما كان على انجلترا الوقوف في وجه فرنسا، والحيلولة دون

(1) كوستاتريابرينا، المصدر السابق، ص250.

(2) محمد إبراهيم لطفي المصري، **تاريخ حرب طرابلس**. (د ب ن: مؤسسة الأمير فاروق، 1946)، ص17.

(3) عبدالله خليفة الخباط،، المرجع السابق، ص73.

(4) الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق ص123.

أحكام قبضتها على القارة الأوربية[1]. ولهذا كان من مصلحتها زيادة التقارب مع طرابلس، للاستفادة من الأهمية الجغرافية للأراضي الليبية القريبة لقواتها في مالطا، والجنوب الإيطالي والمحمولة على ظهر أسطولها في المتوسط إلى جانب أطماعها المستقبلية في مصر، وبناءا على ذلك أصبحت السياسة الإنجليزية نحو طرابلس أكثر إيجابية من السياسية الفرنسية المتخاذلة طوال سنوات الحرب الطرابلسية الامريكية (1801م-1805م) [2].

ولم يرغب يوسف باشا الإعلان عن امتعاضه من سياسة بونابرت تجاه أثناء تلك الحرب، وأثر التعامل مع هذا التجاهل الفرنسي بدبلوماسية هادئة انتظارا للوقت المناسبة. ما إن انتهت الحرب وتم توقيع معاهدة السلام بين الطرفين 1805م أمر الباشا باستدعاء القنصل الفرنسي (بوسيه) إلى القلعة ووبخه وأنبه على هذا الموقف المتخاذل وذكره بموقفه من الحملة الفرنسية على مصر، الذي جاء مخالفا لكل الدول التي كانت موالية لإنجلترا[3].

وبالرغم من محاولة القنصل شرح موقفه للباشا، وبأنه شخصيا تربطه علاقات ودية، غير أن يوسف باشا الذي كانت مخططاته السياسية تتداخل مع أهدافه الاقتصادية، فقد أراد استغلال الوضع التموين الصعب نسبيا، الذي تعيشه القوات الإنجليزية في مالطا والبحر المتوسط لزياد تقاربه مع إنجلترا .وكسب صداقتها واتقاء لشرها في أن واحد وخصوصا بعدما أصبحت سيدة المتوسط بعد هزيمة البحرية الفرنسية في معركة الطرف الأغر 23 أكتوبر 1805م، الأمر الذي جعل صورة فرنسا تهتز ليس في طرابلس فحسب، بل في نظر جميع دول الشمال الافريقي، وهي الدولة البحرية التي طال ما كانوا يحسبون لها ألف حساب .وبعد هذه المعركة أصبح مغامروها صيدا سهلا ولقمة صائغة في يدي البحارة المغاربة .كما أن الباشا رغبة منه في مجاملة أعداء فرنسا، كان يأمر باسترجاع كل الغنائم التي كان القراصنة الفرنسيون يدخلون بها إلى ميناء طرابلس، في حين انه صار يعتبر تلك التي سلبت

(1)المرجع السابق، ص 124 .

(2)احمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص 244.

(3) نفس المرجع، ص245.

من الفرنسيين غنائما مشروعة .فيوسف باشا كان يدرك بعجز ووهن نابليون الذي لم يعد قادرا على توجيه حملات بحرية ضده كما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار حنق يوسف على نابليون بسبب توسع فرنسا في القارة الأوربية، بحيث ضوت تحت جناح إمبراطورتيها الدول الصغيرة الأمر الذي حرم ايالة طرابلس من جزء هام من مواردها[1].

الأمر الذي زاد من غضب يوسف باشا، وجعله يتخذ موقف أكثر تصلبا من القنصل بوسيه ولم يترك مناسبة إلا واستغلها للتقليل من شانه، ووضع العراقيل أمامه في الوقت الذي يزداد تقريبا من القنصل الإنجليزي، سيمون لوكاس في البداية والقنصل (وليام لانجفورد)، حتى ضاق ذرعا من مواقف الباشا فكتب إلى حكومته قائلا:" أصبحت كل البلاد تحت السيطرة الإنجليزية، وكل المعطيات ليست في صالحنا " وكان يوسف باشا يرد الاحتجاجات بوسيه وعلى تجاوزه نصوص معاهداته مع فرنسا بان فرنسا لم تراعي مواقفه السابقة، وأنها تخلت عنه في أحلك الظروف وفي الوقت الذي كان محتاج إلى مساعدتها، كما كان يسخر من كل تهديد قائلا:" إن رمال مملكة طرابلس المتنقلة ليست غنيمة جذابة في نظر بونابرت."[2]

وكان يشجع الباشا على أعماله هذه قنصل انجلترا والو م أ وكذلك قنصل اسبانيا فأسهم هؤلاء القناصل في زيادة تفاقم الخلافات الطرابلسية الفرنسية خلال هذه الفترة ودفعت بالقنصل بوسيه إلى بروز مشكلات جديدة أمامه، الذي كان موقفه يزداد صعوبة وتعقيدا إذ أن الباشا، بعد أن ظل صديقا حميما له لمدة طويلة، عاد فغير مسلكه تجاهه، حيث صار يكثر من إذلاله، وظلمه على نحو لا يمكن السكوت عنه طويلا وقد التمس بوسيه من حكومته أن تعفيه من منصبه، فأعطت له في نهاية الأمر إجازة انتهزها لنقل تقارير مفصل عم ناله مؤخرا على يدي الباشا الذي أهانه تسعة وخمسون مرة لإطلاع المسئولين عنها في باريس[3].

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص390.

(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص246.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص169.

III.2.2: الوفاق الأوربي وانعكاساته:

لقد اتخذت الكنيسة من النشاط البحري المغربي وسيلة لتوحيد جهود المسحيين من اجل القضاء على هذا النشاط الذي يسترق إخوانهم في الدين، وفي البداية عملت على توفير الأموال اللازمة لافتدائهم فتكونت في لهذا الغرض الجمعيات والمؤسسات المختلفة مثل جمعية الإخاء الفرنسية وجمعية باليرمو*، حيث استطاع أنصار هذه الجمعيات، الحصول على قرار من البابا لجمع تبرعات في جميع الكنائس، وتحصلوا على مبالغ مالية عالية ، وقد استمر هذا العمل بهذا القرار حتى سنة 1819م مما جعل الحكومات المسيحية، تستغل هذه الأموال في زيادة عدد قطعها البحرية[1].

أ/مؤتمر فينا1815م :

كان من نتائج مؤتمر فينا ظهور تحالف أوربي مسيحي صليبي يجمع القارة الأوربية على أساس ديني، وهي الفكرة التي نادى بها القيصر الروسي إسكندر الأول 1801-1825 باعتباره حامي المسيحية .وفي مؤتمر فينا اقترح تكوين حلف أوربي على أساس ديني، ظاهره الحفاظ على الأمن والسلام الدوليين وحقيقته السيطرة على العالم الإسلامي، الأمر الذي عزز موقف الاميرال سيدني سميث الإنجليزي المطالبة بتشكيل قوة بحرية أوربية مهمتها وضع حد للغزو الذي تقوم به دول المغرب، بما فيها طرابلس بطبيعة الحال[2] .

وفي سنة 1815 أصدر المؤتمر قرارا بإلغاء القرصنة واسترقاق المسحيين[3]، ولقد وجدت فكرة القضاء على النشاط البحري المغربي قبولا واستحسانا، وخاصة ممثلي الدول الصغرى مثل نابولي

* جمعية الإخاء الفرنسية وجمعية باليرمو: هي جمعيات مسيحية من اجل العمل على إطلاق سراح الأسرى المسيحين وافتدائهم من دول الشمال الإفريقي وقد ساهمت الحكومات في نشاط هذه الجمعيات.

(1) محمد سعيد الطويل، **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمنلي 1795-1832**. (بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2001)، ص299.

(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص256.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص121.

والفاتكان ... وكذلك المؤسسات والمنظمات الدينية كمنظمة فرسان القديس يوحنا[1]، ولما كانت إنجلترا هي سيدة البحر المتوسط فقد أوكل إليها المؤتمر اتخاذ الإجراءات والكيفية بذلك[2].

حيث عقد مؤتمر لندن 1816بمشاركة إنجلترا وهولندا وفرنسا ودويلات الإيطالية، والذي أوصى بإرسال أسطول مشترك لزيارة طرابلس تونس والجائر بقيادة اللورد اكسماوث مهمته حرير الأسرى والحصول على تعهد بعدم ممارسة أعمال القرصنة في المستقبل.

وقد وصل هذا الأسطول البحري إلى الجزائر في مستهل ربيع 1816 وهي محطته الأولى، فقام بتهديد داي الجزائر الذي رضخ في نهاية الأمر لمطلبه بعتق 1500 من الأسرى النصارى[3].

ثم توجه إلى تونس لنفس الغرض وفي 12 ابريل 1816م وصل اللورد اكسماوث بأسطوله إلى مرسى حلق الوادي ثم نزل إلى البر وتوجها على الفور إلى قصر باردو، صحبة قنصل الإنجليزي، حيث تباحث طويلا مع محمود باي وطالبه بضرورة إلغاء الغزو البحري وعتق جميع الأسرى السردينين دون فدية بمن فيهم أولئك الأسرى الذين تم اختطافهم مؤخرا، وعتق جميع الأسرى النابوليين أيضا[4].

ومنها إلى طرابلس التي وصلها يوم 27-4-1816م ولا شك فان نجاح مهمة اكسماوث في الجزائر وتونس قد ساعده في الوصول إلى اتفاق مشابه من يوسف باشا، وكانت مهمة هذا الأسطول تنحصر في ناحيتين الأولى إطلاق سراح الأسرى فتملك الباشا الفزع وامتثل لكل ما يطلب منه، وهكذا تم إطلاق سراح 590 اسيرا نصرانيا. مقابل فدية مالية والثانية الضغط على ايالة المغرب[5].

(1) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص216.

(2) محمد سعيد الطويل، المرجع السابق ص300.

(3) عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1971**. (د ب ن: دار التونسية للنشر، 1978) ص233.

(4) ألفونصو روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**. تح: محمد عبد الكريم الوافي، (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، د س ن)، ص318.

(5) شارل فيرو، المصدر السابق، 394.

وبالرغم من مبادرة اللورد اكسماوث فان القراصنة عادوا إلى استئناف التجوال في البحر، ورجعوا بأربع سفن من مقاطعات البابا، وبعد مضي شهرين توجهت بعض سفنهم للتجول في مياه اعلي شمال غربي اروبا، ثم أقفلت راجعة إلى طرابلس بسفينة ألمانية، وعند مغادرتها لميناء لشبونة مشحونة بحمولة قدرة 100000 قرش .كما قام قراصنة طرابلس آخرون بالتجول في مياه بوسكانيا حيث اختتطفوا طواقم مراكب صيد اخذ رجال الباشا، هؤلاء يقولون سخرية ملمحين إلى قرارات مؤتمر فينا، (إن أسرانا لم يعودوا يسمون أسري بل سجناء)[1].

واستمر هذا النشاط خلال سنتي 1817م 1818م وخصوصا ضد الحكومة البابوية، نظرا لعدم عقدها معاهدات مع ايالة طرابلس، الأمر الذي أدى إلى عودة مسألة الأمن البحر المتوسط لتدرس من جديد على المستوى الأوربي حيث عقد مؤتمر اكس لاشابيل ولم تكن الفترة السابقة تخلوا من مشاكل فقد شهدت تدخل القنصل الانجليزي في شؤون الايالة، معتمدا على القوة البحرية لبلاده في مياه المتوسط[2].

ب/ مؤتمر اكس لاشابيل(Aix lachebelle) 1818م:

كان من نتائج مؤتمر فينا 1815 تكوين إنجلترا وروسيا وبروسيا النمسا الحلف المقدس، بهدف المحافظة على السلام والحيلولة دون انتشار عدوى الثورة الفرنسية وظهور نابليون جديد يهدد الأمن والاستقرار لأوربا .كما امتد نشاط هذا الحلف إلى خارج القارة الأوربية، فأصبح وكأن له الحق في الإشراف على الأمن الدولي وحمايته[3].

ولقد كان الاجتماع الأوربي في مؤتمر فينا، على ضرورة وضع حد مما يعرف لديهم (القرصنة البربرية)، لكن الحلف استمر موجودا على الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك، فالنمسا وروسيا تريان بان السلطان العثماني هو المسئول عن هذه المناطق، وبالتالي يجب مطالبته بالسيطرة عليها

(1) المصدر السابق، ص395.

(2) محمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص302.

(3) نفس المرجع، ص305.

ووضع حد إلى عملياتها البحرية .وفرنسا لديها المخاوف من انفراد إنجلترا بالسيطرة على هذه المناطق وتجارة المتوسط، وانجلترا ذاتها توجد لديها الرغبة في معاداة المغاربة، بشكل علني على الأقل، وإمام هذه الوضعية استمر النشاط البحري المغربي .رغم تراجعه النسبي فالجزائر استطاعت بناء أسطولها وتجديد نشاها وكذلك الحال بالنسبة إلى تونس وطرابلس الأمر الذي دفع بالدول الأوربية الصغرى لإعادة إثارة قضية الأمن المتوسط من جديد في مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818 . استجابت الحكومة الفرنسية هذه المرة للآراء والكتابات الاستعمارية، المنادية بضرورة أن يكون لفرنسا دور في الحكومة العالمية الجديدة، وكان على فرنسا الانتقام للعالم المسيحي الأوربي من تحديات دول المغرب انطلاقا من دورها التاريخي حيث انطلقت من أرضها أولى الدعوات للحروب الصليبية عليها تنفيذ آخرها.

وقد بدأ هذا المخطط الاستعماري بالقضاء على النشاط البحري المغربي بالذات لأنه يمثل آخر مظاهر القوة الإسلامية، وذلك بتكوين أسطولين الأول انجليزي والثاني فرنسي لإرغام المغاربة على التخلي عن ممارسة هذا النشاط وبالفعل تكونت هذه الفرقة البحرية وكان الأسطول الإنجليزي بقيادة (توماس فريما نتل) [1].

والفرنسي بقيادة (جوريان دي لاغرافييرا) قائد القوات البحرية الفرنسية في المتوسط، نيابة عن ملوك اوربا الابلاغ ايالات المغرب بقرارات مؤتمر اكس لاشابيل[2]. حيث توجه الأسطول إلى داي الجزائر لإطلاعه على قرارات مؤتمر اكس لاشابيل وبعد محادثات طويلة مع الداي حسين، لم تؤدي إلى نتيجة تذكر، كما أكد ذلك حمدان خوجة في مذكراته ... اقلع الأسطول من شواطئ الجزائر ورجع بدون نتيجة مجدية[3].

(1)امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص261.

(2) أبو العباس احمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية**. تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج3، (الدار البيضاء المغرب: دار الكتاب، 1997)، ص133.

(3) امحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص307.

ثم انتقلت إلى تونس التي وافقت على احترام كل المعاهدات المعقودة مع الدول الأوربية، والإجماع الأوربي على إنهاء الحملات البحرية . وكذلك طرابلس التي وصلتها الفرقة الانجلوفرنسية يوم 8-10-1819م حيث أبلغت يوسف باشا بما أبلغت به ايالات المغرب السابقة، واستلم نص الإنذار وطلب منه عليه كتابيا، حيث رد الباشا يوسف على الإنذار بالخطاب التالي كما ذكر ذلك القنصل الفرنسي مير:"سادتي تسلمنا الآن خطابكم الرسمي بتاريخ اليوم، وردا عليه أتشرف بأحباركم أن صاحب الجلالة ملك فرنسا وصاحب الجلالة ملك إنجلترا لا يجب أن يجهلا انه لم تخرج من موانئنا منذ عهد بعيد أي سفينة غزو لإقلاق أي دولة أوربية أن نيتنا تتجه دائما لإرضاء رغبات جلالة ملك إنجلترا وملك فرنسا، ونتجنب أعمال الغزو"[1].

III.3: التنافس الإنجليزي الفرنسي.

الرحلات الكشفية الإنجليزية الفرنسية

اتجهت أنظار الحكومة الإنجليزية في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر إلى القارة الإفريقية حيث نالت النصيب الأكبر في عمليات الكشف الجغرافي[2]، وكان من العوامل الأساسية التي ضاعفت من التدخل الأجنبي، زيادة حدة التنافس الانجلوفرنسي هي حركة الكشوفات الجغرافية والوصول إلى أواسط افريقية[3].

جهود الجمعية الجغرافية الافريقية اللندنية:

كانت إنجلترا تريد أن تجعل طرابلس قاعدة لها، من خلالها تم إرسال البعثات الكشفية المتجهة إلى إفريقيا وقد قام بهذا الدور قنصلها واربحتون الذي اخذ على عاتقه نجاح هذا المشروع، وقد استطاع

(1) خطاب القنصل الفرنسي "مير" 1819/10/12 نقلا عن رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص184.

(2) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص137.

(3) محمد الهادي عبدالله ابوعجيلة، المرجع السابق، ص404.

من خلال سيطرته على الباشا أن يحصل على تعهد بضمان سلامة المستكشفين الانجليز عبر الأراضي الطرابلسية وان يقدم لهم كل مساعدة ممكنة[1].

أ/ بعثة جوزيف ريتشي- جورج ليون:

وبناءا على المعلومات التي تلقتها الحكومة الإنجليزية كلفت وزارة الخارجية، ومستعمرات الجمعية الإفريقية اللندنية بإرسال بعثة جديدة الى داخل افريقيا، وقامت بتكليف (جوزيف ريتشي) في خريف 1818م القيام بهذه المهمة كما كلفت الكابتن (جورج ليون) لمرافقة الرحالة ريتشي .وقد نزل ريتشي وليون بميناء طرابلس يوم 22 مارس 1819م واستقبلهما وارنجتون بأرض الميناء حيث شرح لهم المهمة التي أنيطت بهم من قبل الجمعية[2].

وقد انطلقت الرحلة مع قافلة كبيرة مسلحة بقيادة (محمد المكني بك)* حيث مروا بمدن غريان وبني وليد وفزان حتى وصلوا إلى مرزق[3]. وفي 20 نوفمبر 1819م أصيب ريتشي بمرض خطير أودى بحياته وعزم زميله على مواصلة الرحلة وحده، ولكن الأموال لم تعد تكفيه فاضطر إلى الاستدانة من الشيخ المكني وبذلك استطاع الرحالة الإنجليزي ليون مواصلة رحلته وأمكنته من تسجيل الكثير من العادات الاجتماعية لأهالي منطقة جنوب مرزق ثم رجع إلى مدينة طرابلس[4].

وعلى الرغم من أن كل النتائج المرجوة من تلك البعثة لم تحقق، إلا أن وارنجتون كتب إلى حكومته مشيدا بالإنجازات التي حققتها البعثة ولقد كان يهدف إلى لفت نظر حكومته إلى أهمية مثل

(1) محمد الهادي ابوعجيلة، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر**. (د ب ن: دار الشعب، 2014)، ص07.

(2) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص145.

* يرجع أصل أسرة المكنة من صفاقس وكان المكنى حاكما عليها ولما استولى درغوث باشا عليها أيام ولايته على طرابلس أصبح المكنى تابعا له وتحت نفوذه وعندما نقل درغوث باشا جماعة من الصفاقسيين إلى طرابلس ليشتغلوا بالتجارة والصناعة، جعلوا المكنى رئيسا عليهم وأصبح بعد ذلك أحد أعضاء مجلس إدارة الوالي المقربين لديه وتدرج أفراد هذه الأسرة فيما بعد حتى في عهد يوسف باشا تم تعيين محمد المكنى حاكما على منطقة فزان التي تدر مبالغ كبيرة على خزانة الإيالة من الضرائب. انظر عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص146.

(3) محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق، ص08.

(4) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص147.

هذا النوع من المشروعات، وسيلة لتأكيد الوجود الانجليزي على حساب وجود الفرنسي وعليه اهتمت الخارجية لهذه المشروعات[1].

ولم تعجز السياسة الفرنسية على الحصول على امتيازات تعادل ما حصلت عليه انجلترا، حيث تمكنت من الحصول على امتياز يمكنها من دراسة مياه خليج سرت، وتعهد الباشا لتقديم كل المساعدات الممكنة اللازمة للرحالة الفرنسيين .الذين استطاعوا المجيء إلى طرابلس وقاموا بزيارة كل من طبرقة ودرنة واجدابيا[2].

ب/بعثة "والتر اودني"، "كلابرتون"، "ديكسون"

قامت الجمعية الافريقية بتنظيم البعثة واسندت مهمتها الى دكتور والتر اودني (Dr: waletr oudeny). والقبطان اوج كلابرتون captan claperton ، وانضم اليهما الميجور دنهام ديكسون Denhom Dixon وبقوا عدة اشهر لأعداد الرحلة .وقدم يوسف باشا لأعضاء هذه البعثة مساعدات كبيرة نظيرة 100000 قرش نقدا، مع الوعد أن تدفع مثل هذا المبلغ بمجرد العلم بوصول القافلة الى "بورنو"[3].

وقد انطلقت البعثة المذكورة من مدينة طرابلس أوائل شهر مارس 1821م، وبعد حصول وارنجتون على تصريح لها من الباشا للقيام بهذه الرحلة، من خلال الأراضي الطرابلسية كما تحصل لهم على رسائل رسمية منه، موجهة إلى زعماء القبائل لهذه المناطق، كما قدم لهم المساعدات المادية اللازمة وقد سلك أفراد هذه البعثة طريقة بني وليد ووصلوا إلى مرزق يوم 18-ابريل -1821م. قد استطاعوا بهذه المساعدة التي قدمها لهم يوسف باشا اجتياز طريق الجنوب مرورا بالقطرون وتمكنوا من دخول السودان والوصول إلى بورنو، حيث أمكنهم اكتشاف بحيرة تشاد، وقدم لهم زعيم بورنو الشيخ

(1) محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق، ص09

(2) شارل فيرو، المصدر السابق، ص406.

(3) محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق، ص10.

محمد الكانمي كافة المساعدات الممكنة وخاصة بعد أن سلموه الرسالة الموجهة إليه من طرف صديقه يوسف باشا[1].

وأقام القنصل وارنجتون احتفالا كبيرا حضره يوسف باشا، وعدد من رجال دولته حيث قدمت لهم نهاية هذا الحفل الهدايا الثمينة، وكان الباشا في غاية السعادة والإعجاب، وقد وصف وارنجتون هذا الحفل المقام بمناسبة وصول هؤلاء الثلاثة إلى سودان الأوسط. وربطه بعملية السياسة الإنجليزية[2]، والتي كانت بدايتها، علاقة صداقة بين الشيخ محمد الأمين الكانمي الشيخ بورنو بقوله"... وفي اعتقادي أن المناسبة لم يحصل مثلها ابدا من القسطنطينية حتى مراكش، فلم يسبق احد من المسلمين مع بلاطه ان تطوع لضيافة المسيحين دون تخوف وبكل صدق ونية"[3].

ويبدوا ان نجاح هذه البعثة الكشفية قد جعلت وارنجتون سعيدا بهذا الإنجاز، الذي اعتبره نجاحا شخصيا له، خاصة انه صاحب فكرة هذا المشروع، الذي اعطى الانجليز السبق في كشف شمال افريقيا ويقول في إحدى رسائله إلى حكومته :" يسؤوني ان تستفيد امة السبق العلمي الهائل الذي حققته انجلترا بكشف افريقيا الشمالية، وسأتخذ كل الإجراءات حتى لا يقوم المكتشفون الفرنسيون باكتشاف ياردة واحدة داخل البلاد"[4].

لهذا فان فرنسا سارعت لارسال الميسويو روسو (Rousseau) * خلفا للقنصل مير الذي طعن في السن، ولم يعد في استطاعته فرض النفوذ الفرنسي في البلاد وإرجاع هيبتها الأولى لدى الباشا. حيث وصل إلى طرابلس في 1825م فلمس أن هيبة فرنسا قد اضمحلت وهذا هو ما يحدث

(1) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص148.

(2) شارل فيرو، المصدر السابق، ص 404.

(3) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص265.

(4) خطاب القنصل البريطاني وارنجتون إلى وزير الخارجية البريطاني بتاريخ 1824/12/21، نقلا عن رولفوميكاكي، المرجع السابق، ص213.

* قنصل فرنسا بطرابلس في الفترة الممتدة ما بين 1825-1831 وكان من المستشرقين المعروفين وعلى معرفة واسعة بأحوال العالم الإسلامي. انظر عبدالجليل التميمي، المرجع السابق، ص265.

في البلدان الإسلامية غالبا كل ما أصبحت شؤون القنصليات تناط إلى موظفين ثانويين لا يحترمهم السلطان في البلاد عادة مثلما يحترم قناصل فعليين[1].

وبوصول روسو إلى طرابلس، اخذ يضاعف من نشاطه لدرجة انه تمكن من إخبار الباشا على احترام السياسة الفرنسية بدرجة لا تقل عن القنصل الإنجليزي، وخاصة أن روسو كان من المستشرقين المعروفين وبالتالي كان يتمتع بميزة القدرة على التداول والتحدث مع الباشا مباشرة دون حاجة إلى مترجم لأنه يتقن اللغة العربية[2].

ويبدو أن ورانجتون اخذ يعمل بكل الطرق والوسائل لكسب الباشا إلى جانبه حتى أن هذا الأخير طالب بهدية جديدة من توسكانيا، رغم معاهدة الصلح المعقودة بينهما، فقام ورانجتون بالتدخل لدى الباشا للقيام بأي عمل يمكنه إرضاء الباشا وتقوية نفوذ بلاده فعقد اتفاقا بين الطرفين، وإلزام الاتفاق توسكانيا بدفع هدية إلى الباشا التي كان قد طالبهم بها[3].

ومن المؤكد أن ورانجتون كان حريصا أن تكون منطقة الشمال الافريقي موضعة اهتمام إنجلترا فقط، ولعل هذا ما يضاعف الاعتقاد في أن الصراع الإنجليزي الفرنسي قد وصل ذروته وخصوصا بعد مقتل الرحالة الإنجليزي الكسندر جوردن لانج (Elexander Gorden laing)* الذي كلفته وزارة المستعمرات البريطانية للقيام بعمليات جغرافية أخرى لإتمام أعمال البعثة لكشف بلاد السودان الغربي

(1) شارل فيرو، المصدر السابق، ص406.

(2) نفس المصدر ، ص407.

(3) رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص194.

* ولد في 1794/12/27 بمدينة ادنبرا وانهى دراسته الجامعية بها استهل حياته كمدير مدرسة ابتدائية نيوكاصل ثم التحق بكلية المتطوعين بالجيش الانكليزي وخرج مع الجيش عام 1811 بجزر الهند الغربية ورقي إلى ملازم أول ثم انتقل إلى سيراليون وقام هناك برحلات لفتت نظره إلى ضرورة القيام برحلة داخل القارة الإفريقية. اظهرت صفاته ومواهبه كمتشف جغرافي مما جعل وزارة المستعمرات تختاره إلى كشف الخطة القديمة الرامية إلى وصول طومبكتو الغامضة حتى النهر النيجر.
انظر عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص150.

من تمبكتو و نهر النيجر[1] تلك النهاية التي تركت أثارها السلبية على العلاقات الفرنسية الطرابلسية كما سنرى ذلك لاحقا في الفصل القادم.

وعلى أية حال فان سياسة إنجلترا في طرابلس وإفريقيا لم تكن بخافية على فرنسا التي اتخذت هي الأخرى، من طرابلس الغرب قاعدة لعملياتها في القارة السمراء[2].

فأرسلت جوتيه (Gauthier)، جي (Gai) إلى طرابلس إلا أن أهم الرحالة الفرنسيين خلا لهذه الفترة بعد الرحالة جان ريمو باشو (jean Roymond pacho)الذي دخل إلى الأراضي الطرابلسية قادما من مصر بعد أن زوده محمد علي باشا مصر برسالة توصية إلى يوسف باشا وقد تمكن باشو من زيارة المناطق الشرقية من ليبيا في ما بين طبرق واجدابيا وواحات اوجلة ومراد ثم عاد إلى مصر في نوفمبر 1825[3].

(1) محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق، ص409.

(2) محمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص326.

(3) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص268.

الفصل الثالث

الأزمات الفرنسية الطرابلسية وانعكاسات الحملة الفرنسية للجزائر على طرابلس الغرب 1826 - 1830

IV.1: الأزمة البابوية 1826م.

انتهجت الدولة البابوية* السياسة المزدوجة إزاء الدول المغربية (طرابلس-تونس-الجزائر)، منذ بداية العصر الحديث ففي الوقت الذي كانت تشجع على الاستيلاء على السفن والمراكب الإسلامية وإصدار التشريعيات التي تبيح شراء الأسرى المسلمين بغية تنصيرهم، كانت في نفس الوقت ترسل البعثات الدينية إلى حواضر هذه الدول بحجة مساعدة الأسرى النصارى في أداء شعائرهم الدينية وترسيخ إيمانهم بعدم اهتدائهم إلى الإسلام، والارتداد عن المسيحية إلى أن تتم عملية افتدائهم وإطلاق سراحهم .إضافة إلى تلك المهمة الأساسية والمتمثلة في التجسس على المسلمين، والتبشير بالدين المسيحي بين هذه الأقوام الهمجية الكافرة، في نظرهم والتي حرس باباوات روما المتعاقبين على عدم ابرام معاهدات معهم، وارسال قناصل إلى عواصمهم[1].

ان الحضور الديني للفاتيكان في طرابلس خلال العصر الحديث بدأ عندما تأسست أول كنيسة كاثوليكية بطرابلس سنة 1628م، متخذا من الدبلوماسية الفرنسية والانجليزية حسب المتغيرات الدولية حتى بداية عشرينيات القرن التاسع عشر، مظلة لتغطية نشاطه مستغلا النشاط البحري المغربي، كوسيلة لتوحيد جهود الاوربيين من أجل القضاء على هذا النشاط الذي يسترق إخوانهم في الدين، فالنجاح الذي حققه الفاتكان في تأليب الرأي العام المسيحي على مسلمي الشمال الافريقي في ظاهره، وعلى المسلمين بصورة عامة[2].

في حقيقته يعود الى حد كبير لتلك الصورة المأسوية والتي نقلها رجال الدين المسيحي عن معاملة الاسرى المسحيين في السجون المغربية واستقلال ردة الفعل الناتجة عن ذلك في التأثير على

* في عام 164 مات القديس بطرس، وتقول الأسطورة أنه قتل في روما وصار ينظر إليه على أنه أسقف لروما وبابا لها بصفته ربا للكنيسة الكاثوليكية الرومانية كما ينظر إليه على أنه السليل الروحي القديس بطرس، وفي عام 856 أصبح البابا الحاكم الدنيوي للولايات البابوية الممتدة وسط إيطاليا الحالية ومركزها روما، وكان عدد سكانها يقدر خلال القرن 19 حوالي 03 ملايين نسمة، وفي 1871/05/12 صدر قانون إيطالي إلغي السلطة الدنيوية على هذه الولايات اقتصرت سيادة البابا على قصر الفاتيكان.
انظر محمد عتريس، **معجم البلدان العالم**. (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 2002)، ص ص 93-94.

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص213.

(2) نفس المرجع، ص214.

القرار السياسي للحكومات الاوربية التي تتسابق على زعامة النصرانية، ولاشك في ان العمل على وضع حد لعملية الاسترقاق لا ترضي الفاتكان فحسب، بل عامة المسحيين أيضا، حيث تكون العاطفة الدينية أكثر فعالية، وتسخير هذه العاطفة لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية، كما فعلت فرنسا سنة 1830م عند نزول قواتها في الجزائر، وفرض شروطها على تونس وطرابلس[1].

ظلت السفن البابوية محل الاحترام من جهة الطرابلسيين والمغاربة عامة باعتبارها هيئة دينية[2] الى ما بعد مؤتمر فينا 1815م، الذي منع القرصنة وفي نفس الوقت ألزم المغاربة بحرية التجارة وعقد المعاهدات مع الدول الاوربية، ومنها بطبيعة الحال دولة الفاتكان، لكن هذه الأخيرة ظلت غير راغبة لا في عقد معاهدات ولافي ارسال قناصل الى الدول المغربية، ورغم جهود القنصل الإنجليزي في التوسط بين الحكومتين بعقد اتفاق في 24 ديسمبر 1818م، الا انه يوسف لم يتلق الهدايا التي كان وعد بها ولذلك احتج يوسف باشا بعد تنفيذ هذا الاتفاق ودفع مغامريه للعمل ضد السفن البابوية[3].

إضافة إلى ذلك توقف المفاوضات بين القنصل ورنجتون الذي كان يقوم برعاية مصالح الدولة البابوية، وبين الباشا سنة 1822م لسبب رفض البابا الخامس عشر لاستمرار فيها، وامام هذا التعنت من حكومة الفاتكان أصدر يوسف باشا أوامره بتعقب السفن البابوية[4].

في سنة 1826 قامت البحرية الطرابلسية بأسر ثلاثة مراكب تابعة للحكومة البابوية، التي رفضت إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الإسلامية الإفريقية بحجة بأنهم كفار لا يمكن ان يوفر عليهم علم قداسة البابا، وعليه اعتبر يوسف باشا هذه المراكب غنائم حرب من حقه الاستلاء عليها[5]. ولم بتدخل القنصل الإنجليزي وارنجتون، الذي رغم انه كان يحمي المصالح البابوية والدفاع

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص214.

(2) يقول أحمد الشريف الزهار ص154:"الرومانيز لم يكن لهم قنصل بالجزائر وقد أحضرت لهم من قبل بعض السفن وإدعاء أنه زاوية للنصارة واستعطف الأمير فأطلق لهم مراكبهم على أن يبعثوا قنصلا للجزائر فضلّ الذامر ولم يبعثوا.

(3) رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص191.

(4) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص215.

(5) نفس المرجع ، ص271.

عنها، لكن كما ذكرنا من قبل في تعنت البابا في عدم إقامة معاهدات مع الدول المغربية الإسلامية، ولم يتدخل في هذا الحادث، وكذلك حرصا منه على كسب ود الباشا وجعل طرابلس نقطة انطلاق للدواخل الافريقية[1]. فخيره القنصل الفرنسي روسو رسميا بين التدخل في الامر او تركه هو يتدخل، وبعد ان تلقى روسو منه إجابات تافهة وردودا متناقضة، فانه قرر التدخل بنفسه حيث طالب الباشا بإرجاع السفن المخطوفة، كما طالب بالاعتذار عن التعدي على حرمة البابا، غير أن يوسف باشا رفض ذلك محتجا بعدم إقامة معاهدات مع الدول البابوية[2].

فما كان من روسو إلا أن قدم تقريرا بالخصوص الحادث إلى حكومة شارل العاشر (CHARLESX)، وحرصا من فرنسا على كسب مباركة البابا وتأييده لمخططاتها المستقبلية في المنطقة، قامت بإرسال حملة عسكرية إلى طرابلس في 13فبراير1826، حيث برزت طرابلس فرقة بحرية يقودها القبطان أرنوس دي سولسيه .(ARNOUS.DES.SAULSAIS)[3] وبعد ان استنفذت أساليب الصبر والاعتدال طيلة ثلاثة أيام متتالية، وامام عناد سلطات طرابلس التي رفضت حتى مجرد تأدية التحية التقليدية للعلم الفرنسي، فان القنصل الفرنسي روسو قرر الانسحاب من قنصليته على ظهر السفينة امازون(AMZONE)، لكن سرعان ما اعيد رفع العلم الفرنسي بعد ذلك على مبنى القنصلية ثم قررت طرابلس في الحال تأدية التحية للفرقة البحرية الفرنسية بإطلاق طلقات مدافع[4].

ويقول حسن الفقيه في هذا الشأن ان يوم الاثنين 6 رجب 1241 :"قدموا علينا فرقاطة وقربيطة وسكونة فرنسيس وذلك لأجل غنائم الرومانيز* التي جابها الزريق والرايس على القرقاشي

(1) المرجع السابق، ص272.

(2) شارل فيرو، المصدر السابق، ص408.

(3) نفس المصدر، ص409.

(4) رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص190.

* نسبة إلى روما البابوية.

ولأجل يبغوا يطلق عليهم الباشا السالوت* 33 مدفع الى ان طلق عليهم سيدنا يوم الخميس 9 رجب[1]." وفي يوم 18 اجتمع قائد السفينة امازون والقنصل الفرنسي روسو على ظهرها مع مندوب الباشا وعقدوا اتفاقا تقرر بمقتضاه ما يأتي :

أولا: ان ترد في الحال سفن روما التي تم استيلاء عليها مع حمولتها.

ثانيا: ان تحترم في المستقبل السفن التي يرفرف فوقها العلم البابوي.

ثالثا: ان يدفع مبلغ 2000 قرش تعويضا لأصحاب السفن المستولي علي قباطنتها وبحارتها.

رابعا: ان تعتبر فرنسا أحق الدولة الاوربية بالرعاية[2].

كما قام يوسف باشا بإرسال رسالة اعتذار موجهة الى ملك فرنسا يؤكد له فيها الالتزام باحترام رعايا روما منذ ذلك الوقت، فصاعدا والتي كانت في 10 رجب 1241 الموافق ل 18 فبراير 1826 .حيث قال فيها :"... فالموجب تحرير هذا الكتاب وتحرير هذا الخطاب هو أنه وفد علينا الكمندانت** أرنو من حضرتكم طالبا منا على لسان قنصلكم ... ومظهرها أنتم عليه من المحبة والوداد المتوارثين عند الأباء والأجداد ... وذلك بترجيع سفن الرومان وسلاماتهم بوجوب المعروف والإحسان... واجبناهم بأحسن الجواب وقبلناهما بوجوب الاكرام والترحاب مراعاة لها بيننا من المحبة المذكورة[3]".

وبعد إن انتهت مهمة الاسطول الفرنسي في طرابلس توجه إلى إيالة تونس لمساعدة القنصل جيس (GEYS) في التوصل إلى التسوية المماثلة[4].

---

* من الكلمة الإيطالية saluto أي التحية.

(1) حسن الفقيه حسن، **اليوميات الليبية**. تحقيق: محمد الأسطي وعمار جحيدر، ج01، ط02، (بنغازي ليبيا: مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 2001)، ص333.

(2) رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص192.

** من الكلمة الإيطالية comandant أي أمير أو رئيس.

(3) خطاب يوسف باشا بتاريخ 10 رجب 1241هـ الموافق 17 فيفري 1826 إلى ملك فرنسا. نقلا عن امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص272.

(4) البارون الفونصو روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتي احتلال فرنسا للجزائر**. نقلها وحققها: محمد عبدالكريم الوافي، المكتبة الوطنية الجزائرية، (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، د س ن)، ص349.

لقد كان لهذا النجاح الذي حققته فرنسا لحماية السفن البابوية اثره على بقية الدويلات الإيطالية فقد تدخلت لصالح توسكانا ونابولي وسيردينيا، وبذلك تتضح معالم السياسة الفرنسية الجديدة خلال هذه الفترة والرامية الى تهيئة الرأي العام الأوروبي وجعله أكثر حماسا، لم تنوي القيام به نحو الدول المغربية ، وقد استطاعت ان تجني ثمار هذا عند قيامها بحملتها على الجزائر، ويبدو أن الباشا قد اختار موقف المهادنة بدلا من المواجهة لفرنسا انتظارا للوقت المناسب[1].

IV.2: أزمة 4 نوفمبر 1826م وقضية الرحالة الانجليزي لانج

أ/أزمة 4 نوفمبر 1826م:

وتعود مجريات هذه الأزمة الى 4 نوفمبر 1826 حيث اعد القنصل الفرنسي روسو، احتفالا كبيرا بمناسبة عيد جلوس ملك فرنسا، وكان يوسف باشا قد وعد بتشريف القنصلية بحضوره وعليه فان يوسف باشا وافق على الحضور بنفسه لهذا الاحتفال، حيث استغل يوسف باشا هذا الاحتفال في رد الإهانة التي الحقها به روسو عندما أرغمه بالقوة بعقد معاهدة مع الدول البابوية. فأجريت استعدادات كبيرة بالقنصلية، استقبال الباشا الذي كان قد حدد موعد زيارته في الساعة الثانية بعد الظهر، وأخبر روسو قناصل كل من اسبانيا وانجلترا ونابولي بذلك ودعاهم للاجتماع لديه، وبعد انتظارا دام طويلا وصل أخيرا حسونة الدغيس وزير الباشا وأخبر روسو بان وعكة صحية مفاجئة منعت سيده من الحضور. وربما كان اعتذار الوزير مقبولا لو انه بقي حتى الانتهاء من مراسيم الاحتفال[2].

غير ان مغادرته للقنصلية بسرعة بعد الانتهاء من كلامه مع روسو، جعل هذا الأخير يشعر بان الباشا قصد بذلك الحاق إهانة علنية به وبدولته[3].

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص273.

(2) رودلفوميكاكي، المصدر السابق، ص192.

(3) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص137.

فذهب روسو الى الباشا وطلب مقابلته الا ان يوسف لم يستقبله[1] وعلى إثر هذه الإهانة قام روسو بإنزال علم بلاده من فوق القنصلية واستعد للرحيل الى فرنسا، الامر الذي قد تكون عواقبه وخيمة، لا تحمد عقباها، وعليه امر الباشا وزير خارجيته حسونة الدغيس بالذهاب الى روسو وتهدئته لكن القنصل روسو رفض استقباله والدخول معه في محادثات وهو خطا اخر وقع فيه الباشا، لان القنصل الفرنسي كان مدركا لان عدم حضور الباشا كان بإيعاز من وزير خارجيته حسونة الدغيس والقنصل الانجليزي وارنجتون[2]. وعندما سمع يوسف باشا بذلك خشي من تأزم الموقف فطلب من قنصل اسبانيا اقناع روسو بالعدول عن رأييه فذهب هيراردو (Hierraon) من نفس اليوم الى مبنى القنصلية الفرنسية، مزودا بكل الصلاحيات من الباشا الذي طلب منه وبإلحاح شديد ان يبذل قصارى جهده لتهدئة روسو والحيلولة دون حدوث قطيعة مع فرنسا[3].

وبعد مداولة استمرت طيلة جلستين حيث وافق على المصالحة وفق الشوط التالية[4]:

أولا: يجب أن يصلح بحارة الباشا سارية العلم الفرنسي فورا.

ثانيا: يجب تحية العلم الفرنسي لمدة ثلاثة أيام متتالية صباحا ومساءا بثلاثة وثلاثون طلقة مدفع في كل مرة بمجموع قدره 198 طلقة.

ثالثا: في اليوم الرابع يأتي الباشا شخصيا الى القنصلية الفرنسية ليهنئ روسو، وفي المساء يرسل الى مبنى القنصلية أحد أبنائه (الأمير عثمان) لنفس الغرض.

رابعا: يقوم سعادته في اليوم التالي بزيارة ثانية رسمية للسيد روسو كدليل على رغبته الحقيقية والمخلصة على المحافظة على الصداقة والمراعاة لحكومة فرنسا.

(1) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص193.

(2) شارل فيرو، المصدر السابق، ص410.

(3) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص410.

(4) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص194.

خامسا: يقوم الباشا بإقالة ونفي السيد حسونة الدغيس وزير الشؤون الخارجية الذي يجب اعتباره المدبر الرئيسي لهذه المؤامرة، والتي كان الغرض منها زرع الخلافات والشقاق بين القنصل الفرنسي والباشا يوسف.

وافق الباشا على هذه الطلبات، غير انه بمجرد ذهابه الى القنصلية تنازل القنصل روسو عن بقية طلباته، الا ان البعض يقول ان هذه الشروط مبالغ فيها وان الباشا لا يمكن ان يوافق عليها لأنها تعد انتهاكا صريحا لكرامته وكرامة دولته[1]. وفي اليوم الثامن من نوفمبر عند زيارة مبنى القنصلية الفرنسية وسط أجواء احتفالية كبرى، وخاطب القنصل روسو الباشا قائلا:"...وسيروي بعد سنين طويلة في طرابلس الغرب ان السيد الفاضل العظيم يوسف باشا القرمنلي قد كان على علاقة وطيدة مع الفرنسيين، فثابر أيها الأمير على القيام بها من اجل التدعيم اكثر فاكثر للسلام والاتحاد الذي يرنوا منذ زمن بعيد بين الاسرة القرمنلية الشهيرة، وبين تلك الامة الكريمة والكبيرة التي لي الشرف الكبير أن أكون ممثلها لديكم[2].".

وأما بخصوص حسونة دغيس، بطلب نفييه فقد تراجع روسو فيه بطلب من القنصل الاسباني، حيث بعث خطابا الى روسيا فشرح له فيه العلاقة الحميمية التي تربط عائلة الدغيس الى الباشا قائلا:" انكم تعرفون يا زميلي العزيز المزايا العظيمة التي يتمتع بها الدغيس ... والعلاقات الجيدة لهذه العائلة مع عائلة صاحب السمو الباشا، وتعلق جلالته الخاصة بحب والديه المتزوجين بأخت الوزير السابق، وحبه لهذا الوزير وابنائه... وذلك بتخليكم عن طلب نفي الوزير السابق حسونة الدغيس [3]."

ب/ قضية الرحالة الانجليزي لانج

قدم لانج الى طرابلس سنة 1825 يبدأ رحلته من طرابلس الى أواسط افريقيا، وقد بدأ رحلته متجها نحو اغدامس بعد ان طلب ورانجتون من الباشا حماية هذا الرحالة فوافق الباشا على ذلك، وكلف رجالا يثق فيهم لحمايته في مدينة اغدامس، لان سلطاته لا تتعدى حدود تلك المدينة،

(1) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص138.

(2) خطاب القنصل الفرنسي روسو للباشا عند زيارة مبنى قنصليته، نقلا عن امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص276.

(3) خطاب القنصل الإسباني هيراردو إلى القنصل الفرنسي روسو بشأن طلب التراجع عن نفي السيد حسونة الدغيس وزير خارجية الباشا، نقلا عن امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص277.

وحذر لانج بانه لايستطيع ان يقدم له الحماية خارج هذه الحدود، وانه غير مسئول عما يقع له من المخاطر والمصاعب التي ربما تحدث له اثناء رحلته ولاسيما من غزاة (الهجارhog-ger) لما اشتهروا به من كراهية شديدة للأجانب عموما. غير ان لانج بالرغم من تسلمه هذا التحذير الذي ابداه له الباشا إلا انه قد أصر على القيام بتلك الرحلة[1].

وفي سنة 1825 غادر لانج مدينة طرابلس متجها نحو مدينة اغدامس برفقة الشيخ محمد باباني لمكلف من قبل يوسف باشا بتوصيله الى تومبكتو، وكان برفقته 150 حارسا كلفهم الباشا بحراسته فقد وصل الى اغدامس ومنها الى توات دون أي مصاعب وكان يرافقه الحاج محمد باباني. والذي امده ببعض خطابات توصية الى اعيان تومبكتو والى الشيخ مختار الشتناوي وفي اغدامس انضم إليهم تجار اخرون واثناء استراحة في عرض الصحراء فوجئوا بغارة عليهم من قبل الطوارق، قتل فيها الحاج محمد باباني كما جرح لانج جرحا بالغا[2].

وبقي لانج عند الشيخ مختار الشنتاوي ضيفا حتى شفي وبعدها واصل رحلته حتى وصل إلى تومبكتو دون أي صعوبة. وقد ترك لانج البلاد ليلا بصحبة مرافقيه، أما التجار الغدامسيون فلم يستطع احد منهم السفر بعد التحذير الذي تلقوه من (الفولا) وبعد أيام من سفره وعلى بعد مراحل من تومبكتو قتل لانج وهو نائم من احد المرافقين له في سانسيدي في إقليم بامبرا، وقضي على جميع الآلات التي يستخدمها التخلص من كل الوثائق التي كان يحملها[3].

وما ان علم تجار غدامس بهذا الخبر، حتى ابلغوا الباشا بذلك، وعندما روي هذا الخبر الى القنصل الإنجليزي ورانجتون اتهم الباشا بانه المسؤول عن مقتله فاحتج الباشا على هذا الاتهام، وطلب من القنصل الإنجليزي الرجوع عن تصريحاته السابقة، بانه غير مسؤول عما يحدث لي لانج إذا يتعدى

(1) محمد الهادي ابوعجيلة، **النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمنلية 1711-1835** المرجع السابق، ص410.

(2) محمد عبدالهادي ابوعجيلة، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص12.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص215.

حدود دولته ومع هذا فان ورانجتون قد وصل الامر به وصرح للرأي العام الأوربي ولحكومته باتهام يوسف باشا بتدبير مقتل صهره لانج[1].

ومنذ ذلك الحين سيطرت على ورانجتون الذي اصيب في اماله بفكرة الانتقام للقتيل، ممن يعتقد انهم مسؤولين عن ذلك بطريق مباشر وغير مباشر، فطلب من قائد الاسطول البريطاني ان يرسل فورا الى طرابلس سفينة حربية وبمجرد أن وصلت هذه السفينة توجه بصحبة قائدها (توماس ستينس) الى الباشا وصرح له انه من حقه ان يعتقد ان الباشا ورجاله كانوا سيئ النية، وانهم إذا استمروا في هذا المسلك ستكون النتيجة وبالا عليهم[2].

وقد استطاع الباشا ان ينفي هذه التهمة المنسوبة اليه، باطلا وبهتانا، ويبدوا ان الخارجية البريطانية قد أدركت حقيقة الموضوع من خلال الوثائق الرسمية والتي تؤكد عدم مسؤولية الباشا، ولذا فقد أوفدت الكابتن هندميرش إلى طرابلس لمساعدة قنصلها في ان ينهي جميع المشاكل المتعلقة بتلك القضية، والتوصل الى اكتشاف أوراق لانج، وتنصحه بان يكون حريصا عند تعامله مع الباشا، حتى لا يجرح شعوره مما يدفعه الى الارتماء في أحضان الفرنسيين[3].

وبسبب ما كان يشعر به من غيرة إزاء روسو فقد وجه ضده حملة افتراءات ووشايات مدعيا بان دسائس روسو كان لها دخل في مقتل لانج[4]. وما ان علم هذا الأخير بهذا الاتهام الموجهة اليه شخصيا، حتى بادر بالاتصال بورانجتون وطلب منه تفسيرا لذلك، الا ان هذا الأخير رفض مجرد علم القنصل الفرنسي، مما دفعه الا ان يكتب الى حكومته لكي تتخذ ما تراه من إجراءات دفاعا عن شرف قنصلها في طرابلس[5].

(1) خطاب القنصل الفرنسي روسو وزير الخارجية بتاريخ 18 أفريل 1827. نقلا عن رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص215.

(2) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص216.

(3) محمد الهادي أبوعجيلة، **النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمنلية 1711-1835** المرجع السابق، ص413.

(4) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص217.

(5) محمد الهادي ابوعجيلة، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر**. المرجع السابق، ص15.

ولم يكتف ورانجتون باتهام القنصل الفرنسي فقط وانما اتهم حسونة الدغيس على اعتبار ان لديه العديد من الوثائق التي تؤكد مسؤولية الدغيس وأشار إلى أن الدغيس، يعمل لحساب القنصل الفرنسي ويقترح وارنجتون ان يقوم الباشا بإحضار الدغيس وان يمارس عليه قدرا كبيرا من الضغط لكي يعترف بمسؤوليته عن أوراق لانج وعمالته للقنصل الفرنسي[1].

ويبدو ان ورانجتون يريد ان يتهم كلا من حسونة الدغيس والقنصل الفرنسي روسو باي طريقة وهذا راجع الى العداء الذي يكنه لكل من فرنسا والدغيس وذلك بسبب مواقفهم ضده بهدف ان يسترد قدرا من هيبته التي فقدها لصالح القنصل الفرنسي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فانه يريد اقحام الباشا في هذه القضية بعد ان فشل في اتهامه لقتل لانج ويريد الضغط عليه لكي يعلن صراحة اتهام روسو، وحسونة الدغيس وبالتالي يمكن ان يقوي نفوذ بلاده عند الباشا ويقلل من أهمية فرنسا في طرابلس[2].

وقف الباشا في بادئ الأمر مترددا ولكنه عاد فوافق على اجراء التحقيق، خوفا من تنفيذ الحكومة البريطانية تهديداتها، وامر ممثله في غدامس بان يرسل من رافقوا لانج في رحلته إلى طرابلس، واستدعى حسونة الدغيس وبدا معه في التحقيق معه بحضور ورانجتون الذي القى عليه أسئلة متعددة موجها له تهمة المشاركة في قتل صهره واخفاء أوراقه وطلب من الباشا استعمال القوة والشدة أثناء التحقيق[3].

وفور خروج الدغيس من المجلس اتجه الى مبنى القنصلية الامريكية طالبا منه اللجوء لحمايته، وطلب من القنصل الأمريكي (كوكس) التوسط له لدى الباشا فتقدم القنصل الأمريكي ليطلب منه العفو والتسامح على ان يكون تحت حماية العلم الأمريكي رفض يوسف باشا هذا الطلب وابلغ

(1) المرجع السابق، ص16.

(2) عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص139.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص317.

القنصل الأمريكي ان هذه القضية تمس العلاقات الإنجليزية الطرابلسية، وعندما علم حسونة بهذا الامر ركب سفينة أمريكية متجها الى لندن، محاولا شرح قضيته امام الحكومة الإنجليزية[1].

عندما اضطر الباشا الى اتهام روسو بانه قد تحصل على الأوراق المذكورة من حسونة الدغيس مقابل التنازل عن 40 % من الديون التي كان روسو مكلفا بمطالبتها منه.

فصدق ورانجتون ما قاله له الباشا وبادر بالفور لمطالبة روسو، بالوثائق التي اتهم بانها في حوزته، فاستاء روسو من ذلك وطالب الباشا في الحال بإصدار تكذيب ينفي ما قاله ورانجتون مهددا بمغادرة طرابلس، ان هو لم يتلق نص ذلك التكذيب قبل حلول المساء، غير أن تهديده لم يؤدي الى النتيجة المطلوبة، فان روسو بادر الى إنزال علم بلاده، وركب سفين متجهتا الى مرسيليا، تاركا مصالح فرنسا التجارية في عهدة (رويز سانس) قنصل اسبانيا في طرابلس[2].

وبناءا على ذلك اجري تحقيقان أحدهما في وزارة الخارجية الفرنسية والثاني في المكتب البريطاني وقد اسفرت هذه التحقيقات على استحالة اثبات الاتهام ضد روسو وان كل التهم الموجهة اليه باطلة[3].

ويبدوا ان هذا الحادث قد أدى الى ارتباك كبيرا في البلاد، نتيجة التنافس بين البلدين داخل البلاد والذي راح ضحيته الباشا ومعاونوه، لأنه امام هذه الضغوط المستمرة من طرف بريطانيا وافق على كل ما يطلبونه منه في حين انه لم يعطي أي اهتمام لفرنسا، مما جعلها تعد الخطوة الانتقامية لما بدر منه تجاهها وبذلك زادت حدة التنافس بين بريطانيا وفرنسا حتى أدى الى نهاية حكم الاسرة القرمنلية في البلاد[4].

(1) عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص269.

(2) شارل فيرو، المصدر السابق، ص416.

(3) محمد الهادي أبوعجيلة، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر**. المرجع السابق، ص16.

(4) محمد الهادي أبوعجيلة، **النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمنلية 1711-1835**. المرجع السابق، ص418.

ولكن يبدو ان الموقف الذي سلكه الباشا اتجاه بريطانيا وانحيازه اليها وهو يعلم ان روسو بريئ من كل التهم التي وجهت اليه، لأجل هذا فان فرنسا لا يمكنه السكوت عن هذه القضية وهذا ما سنعرفه لاحقا.

IV.3: أزمة التحالف المصري الفرنسي

لقد ترتب على قضية الرحالة الإنجليزي لانج وموقف الباشا منها حدوث ازمة دبلوماسية حقيقية بين طرابلس وفرنسا وتزامنت هذه الازمة مع الازمة الدبلوماسية الجزائرية الفرنسية حيث فرضت الإهانة التي وجهها الداي حسين* 1818-1830 الى ديفال Deval قنصل فرنسا على حكومة ملك شارل العاشر ان تطمع علاقاتها مع الجزائر وتسعي الى استيراد كرامتها بسبل فعالة فكان ان قررت حصار موانئ الجزائر[1].

لكن كان هذا الحصار دون القيام بإجراء عسكري ولعل ذلك راجع الى ان الأوضاع الدولية خلال السنوات 1827-1829 لم تكن تسمح او تساعد على الأقل باتخاذ إجراءات عسكري ضد الجزائر أولا ثم ضد طرابلس الغرب ثانيا[2].

وقبل ان يصبح بولينياك رئيسا للوزارة كان قد استقبل عندما كان وزيرا للخارجية سبتمبر سنة 1829 وفدا قادما من مصر يحمل اراء عرفت فيما بعد باسم "مشروع محمد علي" لحل قضية الجزائر، حيث كان دورفتي drovehi الذي خدم طويلا كقنصل وقنصل عام لفرنسا في مصر الذي دعى محمد علي باشا مصر للاستيلاء على الدول المغربية الثلاثة طرابلس الغرب وتونس والجزائر بدعم

* اسمه الحقيقي حسن ابن الحسن تولى الحكم سنة 1223 – 1818 وكان رجلا عالما شجاعا، أصيبت البلاد في عهده بزلزال، كما وقعت قضية المروحة والحصار البحري الفرنسي الذي انتهي بالاحتلال سنة 1830. انظر مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر. ت: أحمد توفيق المدني، دار البصائر بالجزائر، 2008، ص141.

(1) القومندان جورج دوان، **مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829-1830 وثائق وزارة الخارجية الفرنسية**. تر: عثمان مصطفى عثمان،(القاهرة مصر: المركز القومي للترجمة، 2010)، ص35.

(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص284.

فرنسي ومباركة السلطان العثماني وهذا سيحقق لفرنسا تكوين امبراطورية استعمارية في الشمال الافريقي من ناحية والاحتفاظ بالجيوش الفرنسية في القارة الاوربية من ناحية أخرى[1].

عندما عرض بولنياك مشروع التحالف الفرنسي مع محمد علي لغزو الجزائر على الدول الأوربية اعترضت على ذلك كل من النمسا و بريطانيا، خوفا من فرض فرنسا لنفوذها على الشمال الإفريقي ومن ثمة البحر الابيض المتوسط، واعتبرت روسيا ذلك من المستحيلات، أما بقية الدول الأوربية فقد رحبت بالمشروع[2]، فقام داي الجزائر بإرسال رسالة إلى يوسف باشا يخبره بالمشروع الفرنسي المصري[3] .

ولم تسر العلاقات الطرابلسية الفرنسية في شكل منتظم، بل شهدت عدة منعرجات واضطرابات[4].

كما ان دورفتي كان يعتقد بان قيام فرنسا لهذه المهمة سيثير حفيظة إنجلترا، كما حدث اثناء حملة نابليون على مصر 1798، بينما قيام محمد علي بذلك لم تكون له نفس ردة الفعل، فيما لو قامت فرنسا به، بالإضافة ان إنجلترا ستكون مشغولة بالدرجة الأولى بإعادة رسم خريطة اروبا، ويهمها كثيرا ما يحدث في طرابلس او تونس او الجزائر، اما الدول الاوربية الأخرى فإنها سترحب بهذا العمل لأنها ستتخلص من القرصنة البربرية وعودة الامن الى البحر المتوسط[5].

لقد لقي محمد علي أفكار دورفتي بالقبول والاستحسان، حيث كانت علاقته بإيالة طرابلس لم تكن على ما يرام وقد وصلت الى أدنى مستوى لها خلال سنة 1827 عندما وصلت اخبار غير

(1) أبو القاسم سعدالله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**. (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009)، ص30.

(2) Fowzia MATRUD, **Les relations franco-tripolitaines à l'époque de youssef pacha, entre 1795 et 1832** .thése doctorat (France, université d'Orléans, 2013), p 495

(3) Ipid, p496.

(4)Saif elnaser BULHASEN **, Les relations franco-libyennes**. thése doctorat (France, université d'auvergne,2008), p25.

(5) محمد الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر** ، ص ص، 20-21.

مؤكدة الى طرابلس تفيد بقيام محمد علي بعمليات عسكرية على الحدود الشرقية لطرابلس، وبالرغم ان هذه الاخبار كانت مجرد إشاعة الا انها اثارت مخاوف يوسف باشا جعلته يطلب من عماله في شرق البلاد تشديد المراقبة تحسبا لأي طارئ[1].

ومع بداية سنة 1829 وعلى إثر عودة الاتصالات المصرية الفرنسية بأخبار بإحياء فكرة دورفتي وبقيام هذا الغزو بالقوة بشن حملة ضد ولايات شمال افريقيا وصمم محمد علي بالهجوم فورا والانتصار على الايالات المغربية (طرابلس الغرب وتونس والجزائر)، وعندما علم يوسف باشا بذلك أرسل رئيس وزرائه الحاج محمد بيت المال على رأس 20 فارس لحماية المناطق الشرقية في حالة ما إذا حدث اعتداء على هذه المناطق[2]. وأرسل جنودا من المدفعية الى الحدود الشرقية، ووزع الأسلحة على سكان الساحل والمنشية واخذ في تقوية وسائل الدفاع عن المدينة وحصل لهذا الغرض من مالطة على مدفعي هاون وكميات كبيرة من الذخائر، كما حرص الباشا على ابلاغ كل من تونس والجزائر بهذه الاخبار والاستعدادات التي أعدها لذلك[3].

وبناءا على المشروع فقد عرض محمد علي على فرنسا ان تساعده في ان يصبح حاكما على طرابلس وتونس والجزائر، واقتراح ان يمر جيشه بالساحل الافريقي الشمالي محميا بأسطول فرنسي بحري، وطلب من فرنسا ان تمده مقدما بأربع سفن و 28 مليون من الفرنكات وكان يرى ان السلطان العثماني سيكون راضيا لان المشروع سيجعله يحصل على جزية سنوية شبيهة بالتي يدفعها اليه محمد علي من مصر وقد قال هذا الأخير للقنصل الفرنسي في القاهرة عندئذ انه قادر على انهاء المشكلة الجزائرية بتجنيد 68 الف رجل و23 سفينة وتوفير 100 مليون فرنك لتغطية نفقات الحملة[4].

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص285.

(2) عمر الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر** ص22.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص221.

(4) أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص31.

وافق بولينياك على هذه المطالب في 1828/12/26 وقرر عرضها على مجلس الوزراء الفرنسي، لكنه قوبل بمعارضة شديدة، وعليه لم ينجح بولينياك في اقناع المجلس بالموافقة رغم عرضه للخسائر التي تكبدتها الدولة نتيجة للحصار المضروب على الجزائر دون فائدة ولم يوافق المجلس الا على تقديم البحرية الفرنسية الدعم اللوجيستي اللازم لقوات محمد علي، والحيلولة دون وقوع هجوم عثماني او انجليزي على وسائط نقل قوات محمد علي[1].

ولما شاع خبر المشروع المصري الفرنسي ضد بلدان الشمال الافريقي، ارسل على الفور وكيل الباشا في ليفورنو اليهودي حاي مشيك خطابا الى يوسف يشرح له فيه المعلومات التي تردد في اروبا حول هذه القضية حيث يذكر حسن الفقيه فيها انه في يوم 10 رمضان 1245 قدمت علينا مركبة من الفورنة، وجابت أوراق من عند حاي مشيك في قضية محمد علي والي مصر بانه طالب الوجاكات الثلاثة تونس والجزائر وطرابلس يبغيهم وانه مجهز روحه بالقدوم اليهم برا وبحرا[2]، وعليه استدعى يوسف باشا ديوانه للاجتماع لبحث سبل الازمة لمواجهة الموقف فاعلن جميع الأعضاء استعدادهم للتضحية بحياتهم واموالهم والا يخضعوا لمحمد علي، وتقرر في هذا الاجتماع التصدي والمقاومة، واستعد لذلك فقام بتوزيع الأسلحة والذخائر على سكان طرابلس وضواحيها[3].

وهكذا أسهمت تلك الاستعدادات التي قام بها يوسف باشا لمواجهة الغزو من ناحية والموقف الدولي المعارض خاصة الدولة العثمانية وانجلترا التي أبلغت محمد علي انهما لا يحبذان القيام بعمل يؤدي الى وضع منطقة الشمال الافريقي تحت النفوذ الفرنسي، او زيادة نفوذ فرنسا في هذه المناطق مما يترتب عليه احداث خلل في ميزان القوى في البحر المتوسط، ونتيجة لهذه المعارضة أبلغت فرنسا إنجلترا عن طريق سفيرها بلندن الدوق دي لافال في 1890/1/22م بان محمد علي لن يقوم بحملته على دول الشمال الافريقي بدون موافقة السلطان، وبذلك تكون فكرة استغلال فرنسا لقوة محمد

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص286.

(2) حسن الفقيه حسن، المصدر السابق، ص457.

(3) رودلفو ميكاكي، المصدر السابق، ص222.

علي في تأديب دول الشمال الافريقي قد فشلت تمام لتتفرغ للقيام بهذه المهمة بمفردها أو بأساطيلها وعسكرها[1].

IV.4: أزمة الحملة الفرنسية على الجزائر وأثرها على طرابلس.

جاعت فرنسا واضرت بها المسغبة أيام الثورة الفرنسية الكبرى، واوصدت دونها دول اروبا والعالم، فلم تلق أي نجدة إنسانية الا من ارض الجزائر الحرة، فكانت المراكب تترى بين الساحلين تحمل لفرنسا من الحبوب ما وقاها شر المجاعة.

دوافع الاحتلال:

وتتصل ظروف ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر، ذلك الاحتلال الذي دام طيلة 132 عام بعوامل متعددة تتعلق بظروف فرنسا الداخلية، وبعلاقتها الدولية وبالتنافس الدولي على البحر المتوسط، ذلك الشريان الحيوي للملاحة، الذي شهدت شواطئه وموانئه صراعات مريرة في عصور التاريخ المختلفة قديمها ووسيطها وحديثها، ولذا على الباحث البحث عن الدوافع الحقيقية وراء هذه الحملة الفرنسية[2].

اما القول بان الدافع لهذه الحملة، هو الإهانة التي لحقت بقنصل فرنسا بالجزائر (بير ديفال) فهو قول لا يمس الحقيقة، فليس من المعقول ان تحرك فرنسا مثل هذا الجيش الجرار، وان تصرف من خزينتها 150 مليون فرنك من اجل ضربة مروحة كما يقال وكانت مسالة محاربة القرصنة البحرية هذه من المسائل التي شغلت المؤتمرات الأوربية التي عقدت آنذاك، فقد بحثها مؤتمر لندن 1816م ومؤتمر اكس لاشابيل 1818م وارسلت بريطانيا وغيرها من الدول الاوربية، اساطيلها في محاولة لإرهاب السلطات الحاكمة بالجزائر بالذات لتضع حدا لأعمال القرصنة بسواحلها[3].

(1) امحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص288.

(2) أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**. (القاهرة مصر: مكتبة النهضة المصرية، 2001)، ص74.

(3) شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**. (القاهرة مصر:مكتبة الانجلو المصرية، 1977)، ص256.

وفي 29 1827م أي في مناسبة عيد الأضحى حضر كما جرت العادة قناصل الدول الأجنبية، المعتمدين بالجزائر لزيارة الداي وتهنئته بالعيد ومن بينهم القنصل الفرنسي دوفال وقد دار الحديث بين الداي والقنصل حيث سأله الداي عن السبب الذي منع الحكومة الفرنسية من الرد على برقياته العديدة الخاصة بقضية الديون فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة، إذ قال للداي:" إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم[1] ".

وهذا ما جعل الداي حسين يغضب ولم يتمالك نفسه وخاصة أن الإهانة كانت أمام جمع غفير من الاعيان فضربه بالمروحة ضربة واحدة، الا ان دوفال ادعى انه ضربه ثلاث ضربات، الا ان بعض الروايات تقول ان الضرب لم يقع أصلا ولكن التهديد قد وقع[2].

وفي الحقيقة كان القنصل الفرنسي دوفال يقوم بتنفيذ مؤامرة متفق عليها، منسقا مع رجال حكومته بفرنسا تهدف لاصطناع أي سبب أو حجة لإعلان الحرب على الجزائر قصد الاستيلاء عليها وكتب القنصل الفرنسي تقريره عن الحادث لحكومته، طالبا اتخاذ الوسائل الفعالة للمحافظة على كرامة فرنسا[3].

وقد صرح الملك شارل العاشر باعتزامه لإنشاء مستعمرة هامة، في شمال افريقيا حيث يستطيع الاسطول الفرنسي ان يجد بعض القواعد على الساحل الافريقي المقابل يكفل له حرية التنقل في البحر المتوسط، ومن جهة أخرى فان هذه الحملة ستجعل انضار الفرنسيين تتجه الى الخارج بدلا من تركيز اهتمامهم على المشاكل الداخلية ومن الناحية الاقتصادية فان امتلاك هذا الإقليم الغني الذي كان في فترة من الفترات يمول الإمبراطورية الرومانية بحاجاتها من الغلال سيبرر ما يصرف على عمليات الغزو من مال وجهد[4].

(1)حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**. تح:محمد العربي الزبيري، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2006)، ص180.

(2) ابراهيم لونيسي، **بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة**. (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د س ن)، ص11.

(3) نفس المرجع، ص12.

(4) شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص257.

وقد لعب الدور الاقتصادي دورا قويا في اقدام فرنسا على احتلال على الجزائر حيث عمل الرأسماليون الفرنسيون، الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية، الى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية لهم، كما ان مجموعة كبيرة من التجار كانت متحمسة لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها، وزراعة العنب والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية[1].

كما ان غزو الجزائر حقق للجالية اليهودية بالجزائر امنيتها الكبرى المتمثلة في الثأر من المعاملة القاسية التي كان يعاملها بها أبناء البلد الأصليين والأتراك والعرب الذين قدموا من الاندلس[2].

اما السبب الديني هو ان الصراع في الحقيقة كان قائما بين الدول المسيحية الاوربية، والدولة العثمانية قد انعكس على الجزائر وتظهر النية السيئة من طرف فرنسا المسيحية لاحتلال الجزائر المسلمة، في التقرير الذي رفعه كليرمون وزير الحربية الفرنسية الى مجلس الوزراء الفرنسي المؤرخ في 14 أكتوبر 1827م الذي قال فيه:"... بانه من الممكن ولو يمضي الوقت ان يكون لنا الشرف في ان نمدنهم وذلك لجعلهم مسيحيين"[3].

على ان الظروف الدولية بالإضافة الى الظروف فرنسا الداخلية كانت تفرض عدم الاندفاع في عمل حرب غير مأمون العواقب ولهذا وجهت فرنسا في 16 يونيو 1827م أربع سفن حربية على راسها الكابتن كواليه يحمل إنذارا للداي ويطلب ترضية كاملة عما لحق لفرنسا من إهانة، وكانت المطالب الفرنسية كما يلي:

1/تقديم اعتذار رسمي من الداي عن الإهانة التي لحقت بفرنسا

2/ دفع تعويض عن الاضرار التي لحقت بالسفن الفرنسية والبابوية من طرف الجزائريين

3/ تقديم ضمانات خاصة تحول دون تعرض السفن الفرنسية للتفتيش من السفن الجزائرية.

4/ تمنح فرنسا حق تسليح كافة مؤسساتها في الجزائر دون أي اعتراض من الداي وحكومته

(1) عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**. (بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص84.

(2) عمار بوحوش، **العمال الجزائريون بفرنسا**. (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979)، ص 45.

(3) بسام العسلي، **جهاد الشعب الجزائري**. ج1، (وهران الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 2009)، ص191.

5/ تتمتع فرنسا في الجزائر بحق الامة الأكثر رعاية حتى يعلن الداي ان الحكومة الفرنسية قد وفت بالتزماتها المالية وانه ليس له أي حق قبلها.

وقد رفض الداي هذه المطالب جملة وتفصيلا[1].

ثم جاءت عمارة فرنسية ونزلت بسيدي فرج في 14 جوان 1830م الذي اخلاه الاتراك ليسهل عليهم من بعد مهاجمة الفرنسيين واستعد المسلمون لحق الحملة وهاجموا الجند في سيدي فرج[2].

وبعد بعض الاصطدامات والمناوشات التي حدثت بين الجيشين نجحت القوات الفرنسية في احتلال الكثير من المواقع الاستراتيجية في مدينة الجزائر وعلى راسها قلعة الامبراطور 4 جويلية 1830م وبذلك أصبحت قضية استسلام الداي ووقوع مدينة الجزائر (جادت الحرب المقدسة) (وحصن الجهاد) في ايدي الفرنسيين قضية ساعات فقط[3].

وتم تسليم الجزائر الى السلطة الفرنسية بعد توقيع معاهدة الاستسلام بين ديبورمون والدي حسين في 5 جويلية 1830م ونهاية السلطة التركية في الجزائر بشكل كبير[4]. (انظر إلى الملحق رقم 03).

(1) شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص267.

(2) مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر. ت: أحمد توفيق المدني، دار البصائر بالجزائر، 2008، ص83.

(3) لوسيت فالنسي، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830**. تر: إلياس مرقص، (بيروت لبنان: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1980)، ص15.

(4) سفيان صغيري، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830**. مذكرة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2012/2011، ص172.

موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر

بالرغم من ان فكرة التحالف الفرنسي المصري من اجل السيطرة على الدول المغربية قد فشلت رسميا في بداية شهر مايو 1830م، عندما أعلن محمد علي باشا مصر على تخليه عن المشروع، لكن فرنسا نجحت في تهيئة الراي العام الأوربي لتقبل عملية احتلالها للجزائر[1].

هذه الاحداث الأليمة التي منيت بها الجزائر، هزت مشاعر اخوا نهم في العالم الإسلامي عامة وفي طرابلس الغرب خاصة، فالموقف الطرابلسي كان واضحا وجليا حتى قبل عملية الانزال، فقد أرسل يوسف باشا القرمنلي خطابه الشهير الى داي الجزائر يشجعه على التصدي للفرنسيين والوقوف في وجه مخططاتهم الجهنمية مذكرا إياه بماضي الجزائر التليد في التصدي لمثل هذه الحملات[2].

ويمكن ان نتعرف على مضمون الرسالة بتقسيمها الى ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى: تؤكد على الصلات المتينة بين الجزائر وطرابلس الغرب (حفظ الله حضرة الملك المؤيد المنصور المظفر في البرور والبحور من عظم شأنه ... ومقيمون على حبكم الصافي وودكم الوافي).

الفقرة الثانية: تتعلق بمشروع محمد علي باشا مصر لغزو ايالات المغرب ابتداء من طرابلس الغرب "ان عندنا حركة بحرية وبرية ومتهيئين لملاقات صاحب الايالة الشرقية ... ان الحامل لوالي مصر على ذلك ان عدو الله الفرنسيس وسهل له الطرق والمسالك.... فاذا قدر الله بقومه علينا نعارضه بعساكرنا ...ونذيقه وبال امره ويرجع خائبا ان شاء الله.

الفقرة الثالثة: لعل اهم ما نستفيده منها كونها تسجل تأييد حاكم طرابلس الغرب لحاكم الجزائر الحسين داي مع اظهار التأسف لعدم تمكن حكومته من تقديم معونات مادية محسوسة نظرا لأوضاع البلاد آنذاك، وبذلك اكتفى حاكم طرابلس الغرب في اخر رسالته بإبداء النيات الحسنة التي

(1) ارجمنت كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827– 1847)**. تر: عبدالجليل التميمي،(تونس: مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة التونسية، 1970)، ص ص- 23 38.

(2) أمحمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص290.

لم تتجاوز الدعاء الصالح لحاكم الجزائر وتضرع الى الله في المساجد لنصرته: " وان تشوقت سيادتكم بكيفية احوالنا فهي في غاية التعب وضيق الخاطر والنصب ... ونحن ما لنا قدرة أن نمدكم بها الا بصالح الدعوات منا ومن جملة اهل اوجاقنا في المساجد عند إثر الصلوات"[1].

ثم يختم خطابه بطلب تزويده بما يستجد من اخبار عن هذا الصراع: " والمطلوب من سيادتكم ان تعرفون بما يزيد عندكم من الاخبار لأننا في غاية الانتظار"[2]. (انظر إلى الملحق رقم 04).

لقد كانت العلاقات الليبية الجزائرية غالبا حسنة، على عكس العلاقات الجزائرية التونسية والمغربية التي كانت تشهد أزمات بين الحين والأخر وصلت الى اعلان الحرب ولم يكن لطرابلس اطماعا إقليمية كتلك التي كانت لتونس ومراكش[3].

الحملة الفرنسية على طرابلس 9 أوت 1830م:

بالرغم من ان فرنسا قد وضعت في جدول اعمالها ارسال قوة بحرية الى شواطئ طرابلس لمعاقبة يوسف باشا وتأديبه على إهانة قنصلها روسو، وعدم احترام العلم الفرنسي لكنها اجلت القيام بهذه العملية على امل نجاح فكرة تحالفها مع محمد علي باشا مصر من ناحية، او بعد معاقبة داي الجزائر من ناحية أخرى[4].

وبعد احتلال فرنسا للجزائر، وقعت الرسالة التي بعث بها يوسف باشا الى داي حسين في ايدي الفرنسيين فتأكدت الإدارة الفرنسية اعتمادا على هذه الرسالة من نوايا حاكم طرابلس المعادية

(1) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**.ط2، (الجزائر: دار البصائر، 2009)، ص119.

(2) عبدالحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2009)، ص45.

(3) احمد بن ابي الضياف، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان**. ج3، (د ب ن: الدار العربية للكتاب، 1999)، ص37.

(4) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص293

لفرنسا وبعد ان لمس قادة الحملة الفرنسية مدى التشييع والتعاطف الذي ابداه يوسف باشا لحسين داي والوقوف في وجه الفرنسيين اتخذت فرنسا اجراء سريعا لتأديب حاكم طرابلس[1].

أصدرت الأوامر الى البارون روزاميل بالتوجه بأسطوله الى طرابلس قد وصل يوم الاثنين 9 أوت 1830م[2]. بحجة ارغام يوسف باشا على ابداء الترضيات وإعلان الاعتذار عن الإهانة التي لحقت بالقنصل الفرنسي روسو[3].

فقام القنصل الاسباني دون ميجول ريزسينز الذي كان مكلفا برعاية مصالح فرنسا بالتوجه الى الاسطول حيث اصطحب معه اثنان من قيادته الى منزله، ثم ذهبوا معا الى القلعة لتسليم الإنذار النهائي للباشا وبعد ان تمت عملية تعريبه عقد على الفور اجتماع لمجلس الديوان ما جاء في الإنذار الفرنسي، وكانت مطالب فرنسا تتلخص في انه يجب على الباشا تسليم قائد الاسطول حاليا خطابا موجها الى ملك فرنسا، يرجوه فيه قبول اعتذاره على ما قام به من اعمال أدت الى رحيل روسو، وسحب الاتهامات التي وجهت اليه، ثم ترك عمليات الغزو البحري نهائيا، وحرية التجارة والتبادل القنصلي مع مختلف الدول دون هدايا وهبات، ودفع تعويض مصاريف الحملة، واستمرت المفاوضات طيلة يوم الثلاثاء والأربعاء وقد حاول كل من الحاج محمد بيت المال والقنصل الاسباني وبعض التجار الفرنسين تلطيف الشروط المذلة للبلاد[4].

لكن دون جدوى وأمام إصرار روزاميل لم يجد يوسف باشا مفرا من الاستجابة لمطالبه حتى يستطيع تجنيب البلاد ما حدث للجزائر وعليه تمت الموافقة على تلك الشروط وتوقيع المعاهدة المؤكدة لها[5]. (انظر إلى الملحق رقم 05).

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص123.
(2) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص294.
(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص123.
(4) حسن الفقيه حسن، المصدر السابق، ص491.
(5) محمد سعيد سالم الطويل، المرجع السابق، ص294.

وعلى اية حال وبالرغم من ان يوسف باشا قد نجح في تجنيب البلاد هجوما فرنسيا كان واقعا لامحالة، لو اتخذ موقفا معارضا لتلك الشروط وبالتالي تعرض البلاد للدمار والخراب كما حدث للجزائر، فهل كانت هذه السياسية حكيمة؟ لكن استجابته لتلك الشروط المذلة كان في الواقع قد أوقع البلاد في ازمة داخلية وخارجية تمثلت في تردي الأحوال الاقتصادية والاشتداد الازمة المالية وانعكاس ذلك على الحياة الاجتماعية، من انحطاط وتأخر وانتشار للفقر والمرض بين فئات المجتمع وانعدام الامن والاستقرار وتزايد الاضطرابات الداخلية واعتداءات القبائل على بعضها البعض من دون خوف من ردع السلطة الحاكمة لها، بسبب تراجع سلطة الباشا وحكومته، التي أصبحت أسيرة اسوار مدينة طرابلس والتي لم يعد لديها مصداقية بين السكان.

ولقد اتبع داي الجزائر سياسة مناقضة لسياسة يوسف باشا تجاه فرنسا، فهل يا ترى لو نهج نفس نهج يوسف باشا وابرم معاهدة مع فرنسا وقبل بشروطها فهل كانت الظروف تؤول لما ألت اليه؟ ورزحت الجزائر تحت وطأة الاستدمار الفرنسي ما يزيد عنه 130 سنة وقد عاث بها فسادا فجهل شعبها واغتصب أرضها ونهب خيراتها.

الخـــــاتمة

من خلال ما تطرقنا إليه حول دراستنا لموضوع العلاقات الطرابلسية الفرنسية وتأثير الحملة الجزائرية عليها إذ أن هذه الفترة ابتدأت بوصول يوسف باشا إلى الحكم بعد تردي أوضاع طرابلس الغرب في عهد أبيه، لتعرف البلاد نوع من الانتعاش والاستقرار داخليا، أما خارجيا وخصوصا فرنسا فقد كانت تسير طوال هذه الفترة وفق المعطيات الدولية السائدة في البحر الأبيض المتوسط، وفي إطار هذه السياسة الخارجية (البراغماتية) الجديدة اتبع يوسف خطوط واضحة المعالم وهي:

-السير على خطى أسلافه اتجاه فرنسا في بداية حكمه اتقاء لشرها وكسبا لها، وخاصة بعد أن سيطرة على مالطا ووجود جيوشها في مصر، فقدم لها الدعم المادي والمعنوي ولم يستجيب للإخوة الإسلامية بقطع علاقاته معها وإرسال جيش لمحاربتها في مصر، وعندما أرغم عن ترحيل الرعايا الفرنسيس تم ذلك بدبلوماسية هادئة، فقد كان يتوقع عودة العلاقات بين البلدين.

-بعد أن تأكد يوسف باشا من خروج فرنسا مالطا ومصر وفقدان أسطولها البحري في معركة الطرف الأغر وانفراد إنجلترا بالسيطرة على البحر الأبيض المتوسط تغيرت مواقف الباشا السياسية وفق لهذه المتغيرات الدولية فعمل على استمالة إنجلترا واستغلال عدائها لفرنسا لتحقيق أغراضه.

-لقد أتاحت هذه الوضعية المتوسطية الجديدة ليوسف باشا رد الصفعة لفرنسا التي خذلته زمن محنته ولم تقف إلى جانبه أثناء حروبه مع مختلف القوى الخارجية، خاصة الحرب الأمريكية الطرابلسية التي من خلالها سعت إنجلترا إلى كسب مكانة عند الباشا في حل الأزمة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذه الفترة لم تخلوا من الأزمات التي كانت تعصف بطرابلس من حين إلى أخر، وقد كان من أخطر هذه الأزمات الحرب الأمريكية على طرابلس السالفة الذكر، وأزمة الدولة البابوية التي استندت إلى فرنسا التي بدورها ضغطت على يوسف باشا في استرجاع ممتلكات الدولة البابوية وذلك لكسب دعمها وتأييدها المستقبلي في سياستها الاستعمارية،

لكن يوسف كان حرصا على سيرورة أمن البلاد من جهة وعلاقته مع فرنسا من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك أزمة 4 نوفمبر 1826م التي رد بها يوسف باشا لفرنسا الإذلال الذي وضعته فيه أثناء قضية الفاتيكان أو الدولة البابوية، لكنه سرعان ما تراجع عن هذا الفعل وسعى إلى ترضية القنصل الفرنسي روسو، وتعتبر قضية الرحالة الإنجليزي لانج من أخطر الأزمات التي عرفتها طرابلس الغرب حيث أدخلت البلاد في دوامة صراع بين قوتين قوتين، إنجلترا المستغل مقتل رحالتها لانج في إتهام فرنسا في تدبير هذه المؤامرة للحد من امتيازات فرنسا في طرابلس الغرب، وفرنسا التي اتهم قنصلها بقتل الرحالة الإنجليزي والتي بدورها توترت علاقاتها مع طرابلس بصفة نهائية عند وقوف يوسف باشا إلى جانب إنجلترا، وهذ يبرهن أن طرابلس الغرب في الفترة الأخير أصبحت تدار شؤونها الداخلية والخارجية من طرف القناصل الأوربيين خاصة فرنسا وإنجلترا وذلك لضعف حكم الباشا وإدخال الدولة في مديونية كبيرة.

كما تزامنت أزمة الرحالة لانج مع أزمة الجزائرية الفرنسية إثر الديون التي طالب بها الداي حسين من فرنسا والتي انتهت بحصار الجزائر لمدة 3 سنوات، وفي هذه الفترة عملت فرنسا على مشروع استعماري أطلق عليه التحالف المصري الفرنسي في الاستيلاء على الإيالات المغربية الثلاث (طرابلس وتونس والجزائر) والذي تمثل في ضرب إيالة بإيالة، وهذا الوضع الخطير الذي كان له أثر كبير على طرابلس الغرب خاصة وعلى تونس والجزائر عامة، وفي إطار هذا عمل يوسف على إحباط هذا المشروع الذي يهدد أمن واستقرار البلاد يدخل البلاد تحت سيطرة فرنسا، وعليه فإن إنجلترا كانت مدعمة ليوسف باشا في دحض هذا الخطر الذي يخلل موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط، وبعد الضغوطات التي تلقاها علي والي مصر فشل المشروع وتبخرت أمال فرنسا في الاستلاء على الساحل المغربي، لكنها لم تتوقف عند هذا الحد بل قامت بتوجيه حملة عسكرية كبرى إلى الجزائر مستغلتا الخلاف بينها ومتحججة بتأديب الداي حسين، فاحتلت الجزائر بعد معارك دامية، لتتوجه فيما بعد إلى طرابلس الغرب مستغلتا أسطولها بالجزائر بقيادة روزاميل

في 11-8-1830م والتي انتهت بتوقيع معاهدة مذلة جردت طرابلس الغرب من أسطولها العسكري وتحصلت فرنسا من خلالها على امتيازات كبيرة في البلد، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت البلاد تسير حثيثا نحو التردي والانهيار، وعليه هذا الوضع مهد فيما بعد إلى عود الحكم العثماني الثاني.

بيبليوغرافيا

الملحق رقم 1 : قصيدة في وصف طرابلس الغرب للشاعر والاديب احمد بن حسين بن الشيخ[1].

طرابلس الغرا ! ترى لي عودة
اليك ، وهل يدنو الذي كان قد ذهب

سقا الجانب الشرقي منك سحابة
ولا زال فيك من رياح الصبا يهب

بلاد لها بالخلد آية شبهة
فمنها نبات الزعفران ، كذا العنب

ترى سوحها من فضة فاذا اكتست
بشمس الضحى اضحت لجينتها ذهب

وفي كل حول حولها حلة حلت
برؤيتها خضراء من سندس القصب

وفيها نخيل باسقات اذا الصبا
تهب عليها اسقطت يانع الرطب

وفيها من الأشجار ما جل وصفه
باوراقها الورقاء غنت من الطرب

وفي ثغرها ظفر الرضاب وعينها
التي قد سمت من فضة آية العجب

(1) أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المرجع السابق، ص 10.

الملحق رقم 2 : الحدود السياسية لطرابلس الغرب[1].

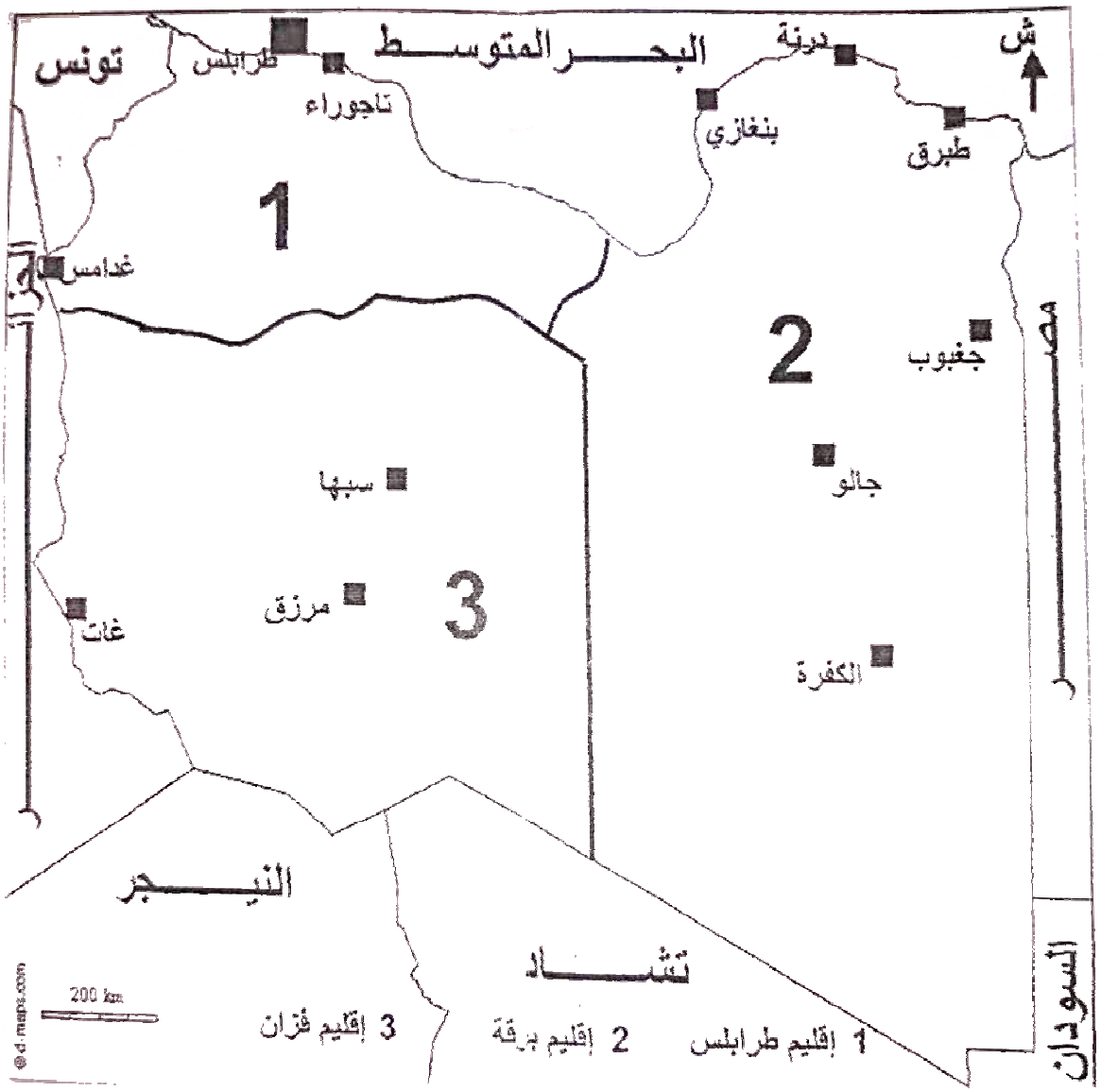

(1) جلول غريس، المرجع السابق ، ص 96.

الملحق رقم 3 : معاهدة استسلام الجزائر سنة 1830[1].

معاهدة استسلام الجزائر سنة 1830 :
اتفاق بين الكونت دي بورمون
القائد العام للجيش الفرنسي وسموه داي الجزائر

- تسلم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح، على الساعة العاشرة (بتوقيت فرنسا).

- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بان يترك له حريته وكذلك كل ثرواته الشخصية.

- يستطيع الداي ان ينسحب مع عائلته وثرواته الشخصية الى أي مكان يختار الاستقرار فيه، وما دام مقيما في الجزائر فانه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وأمن عائلته.

- يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية.

- تبقى ممارسةالديانة المحمدية حرة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من دياناتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم.

إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك.

إن تبادل هذا الاتفاق سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح وستدخل القوات الفرنسية بعدها مباشرة الى القصبة ثم على التوالي الى كل حصون المدينة والى البحرية.

في المعسكر امام الجزائر في 5 جويلية 1830

خاتم الداي حسين باشا

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 70.

الملحق رقم 4 : رسالة يوسف باشا القرمنلي إلى حسين داي الجزائر[1]

(1) المرجع السابق ص 45.

الحمد لله ، وصلى الله على خير الانام ونبراس الظلام ، ومن هو للرسل ختام سيدنا محمد وآله واصحابه الكرام

حفظ الله حضرة الملك المؤيد المنصور المظفر فى البرور والبحور من عظم شأنه حتى هابته جميع الملل ووقع فى قلوبهم من رعـــود هيبته الانزعاج والوجل امام الغزاة والمجاهدين ومحي سيرة الخلفاء الراشدين ذي المهمة الشامخة والطلعة المأنوسة أخونا سيدي حسين باشا والي دار الجهاد الجزائر المحروسة لازال النصر معقودا بنواصي أيامه والظفر والسعد آخذان بمقوده وزمامه أما بعد السلام الكامل الأتم والرضوان الشامل الأعم يؤم حضرتكم العلية ورحمت الله تعالى وبركاته تتعاهد رفيع مقامكم بكرة وعشية فالمعروض عـلى سمعكم الشريف وفهمكم اللطيف اننا ولله الحمد على حالة ترضى السيادة ، ومقيمون على حبكم الصافي وودكم الوافي كما تعهدون وزيادة لأن كلا الوجاقين من قديم الزمان حال ملوكها متحد فى كل الأحوال ونحن لا نحول عن ذلك مادامت الأيام والليال هذا وقد بلغنا جوابكم السعيد وخطابكم المفيد فككنا ختامه وقرأناه وتشرفنا بلذيذ لفظه ومعناه واستفدنا منه ما أنتم عليه من استقامة الأحوال بلوغ الآمـال وعرفتمونا بأنه بلغ سيادتكم

ان عندنا حركة بحرية وبرية ومتهيئين لملاقات صاحب الايالة الشرقية وتحيرت سيادتكم من وقوع هاته الأحوال وطلبتم منا أن نعرفكم عنها تفصيلا لا اجمال فلتعلمون رعاكم الله أن قبل هذا الكتاب عرفنا السيادة بجواب مضمونه أن هذه الأخبار وردت علينا من سائر الأقطار وانكتبت فى الكزطات عند القناصل متحققين وقوعها من الحاصل وعلى ما قبل أن الحامل لوالي مصر على ذلك أن عدو الله الفرانسيس أغراه على أخذ الوجاقات وسهل له الطرق والمسالك وتحملوا له بأن يكونوا فى عونه على تتميم الغرض الذي طلب ويستقل بالملك ويصير سلطان برفركة العرب بعدما التزموا بأن يمدوه بجميع ما يحتاجونه من آلة الحرب والعساكر ويوجه معهم ابنه ابراهيم باشا ليمكنوه ولاية الجزائر فلما

سمعنا بذلك شرعنا فى تجهيز الامحال وتحضير ما يلزمنا من آلة الحروب والقتال وبعثنا لكافة أهل أوطاننا بأن يقضوا لوازم السفر ويكونوا على بصيرة وحذر . فاذا قدر الله بقدومه علينا نعارضوه بعساكرنا فى حدود العمالة ونذيقوه وبال أمره ويرجع خائبا ان شاء الله لامحالة ونجازوه بحول الله وقوته بفعله وعلى كل حال فلا يحيق المكر السيء الا بأهله وان هو اكتفى بسلكته وتأخر عن الجدال فهو المراد وكفى الله المؤمنين القتال ولا نسعوا والله الا فى حقن دماء المسلمين ولا مرادنا أن يكون بين الاسلام سبفين مختلفين والفتنة نار وواقدها لا يكون الا من الفجار.

وان تشوقتم سيادتكم لكيفية أحوالنا فاننا فى غاية التعب وضيق الخاطر والنصب خصوصا بعدما سمعنا بأن انفرانسيس جمع جنوده ومتوجه لوجاقكم لا بلغة الله مقصوده ولا زلنا فى شغل بان وتغير أحوال حتى اجتمعت بولي من أهل الكشف بكوامن الأسرار وله اشارات ظاهرة تغني عن الاشتهار فسألته وأفدني عن سيادتكم ببشارة نرجو من الله أن تكون أصح من النقش على الحجارة وهم أنهم دمرهم الله يرجعون على غير طايل فلتقر بها عينا ولتطب نفسا ولا تخشى بحول الله رهقا ولا نجسا ولا شدة ولا بأسا كيف لا وأنتم من فضل الله ما بجنودكم قلة ولا فى جيوشكم فلة ولأبطالكم قناة شديدة المضارب ذكرها فى المشارق والمغارب وجهادكم خالص لله لا لقصد رياء ولا لطلب دنيا بل ابتغاء مرضات الله لتكون كلمته العليا ونحن ما لنا قدرة نمدوكم بها الا بصالح الدعوات منا ومن جملة أهل وجاقنا فى المساجد عند اثر الصلوات كما نطلبوا منكم ذلك فى كل الأوقات وعلى الله القبول بجاه أكرم شفيع واجل رسول والمطلوب من سيادتكم أن تعرفونا بما يزيد عندكم من الأخبار لأننا فى غاية الانتظار وما تعرض للسيادة من حاجة عرفونا بها ولكم الفضل ودمتم بخير وعافية وعيشة من الأكدار صافية والسلام بتاريخ 24 من ذي القعدة 1245 من العبد الفقير لربه يوسف بن علي باشا طرابلس الغرب وفقه الله وأعانه آمين (1) .

عام 1245
يوسف ابن علي باشا
قرمانلي

الملحق رقم 5: معاهدة يوسف باشا القرمنلي مع فرنسا[1]

وثيقة — ١٦

معاهدة يوسف القرمانلى مع فرنسا(١)

١١ أغسطس سنة ١٨٣٠

لإزالة الأحوال التى اضطرت قنصل فرنسا إلى مغادرة البلاد لسوء التفاهم الذى حدث بينه وبين يوسف باشا والى طرابلس ولإنهاء تلك الحالة ولمنع الحالات التى توجب دائما سوء التفاهم بين إيالة طرابلس والدول الأخرى ولحفظ الأمن فى البحر المتوسط إلى الأبد ـ تم الإتفاق بين المسيو بارون روزامل ـ الأميرال الثانى لبحرية فرنسا ، الحامل لنيشان سان لوى العسكرى، والحامل لرتبة كوماندوز فرقة الشرف، والحائز لنيشان فارس من فردناند ملك أسبانيا — مندوبا عن ملك فرنسا — وبين سيدى الحاج محمد بيت المال ناظر أمور خارجية دولة يوسف باشا مندوبا عن طرابلس ـ ونظرا لما لهذين المندوبين من دراية وتمتع بثقة دولهم فهما ينوبان عن دولهم فى توقيع المعاهدات ويطلبون من الله التوفيق فى وضع هذه المعاهدة وتطبيقها .

مادة ١ : يعتذر والى طرابلس لقنصل فرنسا ويأسف للأراجيف والمفتريات التى قيلت فى حقه ويوجه رسالة إلى ملك فرنسا يذكر فيها المحبة الصافية التى توجد بين الدولتين ويعطى صورة منها إلى الأميرال المذكور وعندما يتسلم القنصل عمله من جديد يرسل الباشا أحد أولاده أو أصهاره إليه ليطلب العفو عما صدر منه ويوفى بالترضية اللازمة .

مادة ٢ : لا تعطى حكومة طرابلس رخصة لسفنها أو لسفن رعاياها للقرصنة وكل سفينة تتجاسر على القرصنة ضد السفن التجارية فإن جميع دول أوربا قد اتفقت على ضبطها ومصادرتها ..

(1) ردولفو ميكاكي، المرجع السابق، ص 341.

مادة ٣ : تلغى بعد اليوم مسألة الأسر ويعتق جميع الأسرى الموجودين الآن وإذا كان يوجد أسرى لدى الوالى يحررهم ويرسلهم إلى بلادهم ـ وعند وقوع حرب بين طرابلس ودولة أجنبيه فإن الأسرى الذين يؤسرون فى البر والبحر لا يعاملون معاملة سيئة وإنما يعاملون حسب قوانين أوربا ويوضعون فى أماكن مناسبة ويتم تبادلهم عقب انتهاء الحرب ويطلق سراحهم .

مادة ٤ : لا يسمح لحكومة طرابلس أن تزيد أسطولها الحالى أو تضيف إليه أية قطعة حربية أخرى وتشكل لجنة لحصر عدد السفن الحالية وتوضع قائمة تبين عدد السفن وحالاتها ومقدار تسليحها أما السفينة التى يصيبها تلف أو تبلى فيمكن تجديدها ولكن بنفس الحجم والمواصفات ـ ولا يجوز تسليح السفن التجارية الحالية وتحويلها إلى سفن حربية .

مادة ٥ : تساعد الحكومة السفن التى تلجأ إلى السواحل نتيجة الرياح وتعمل على رفعها من رمال الشاطىء إذا كانت قد اصطدمت بها وتحرس ركابها وتحافظ على بضائعها ـ وإذا غرقت إحدى السفن يحافظ عليها من النهب والسلب وإذا نهبت تتعهد الحكومة بدفع كل ما نهب منها ـ كذلك يجازى كل من يقتل أحد هؤلاء الركاب طبقا لقوانين البلاد وتدفع تعويضات لأهل هذا القتيل .

مادة ٦ : إذا حدث النهب من ثائرين على الأمير فلا يجبر الأمير برد ما نهب أو القبض على القاتل أو دفع تعويضات .

مادة ٧ : للدول الأجنبية الحق فى تعيين ممثلين تجاريين فى أية بقعة من الإيالة وتلغى عادة الهدايا التى نصت عليها المعاهدات ولو كانت تحت أى اسم من الأسماء ولا يمكن تجديد هذه المعاهدات دون دفع الرسوم الجمركية .

مادة ٨ : إذا دفع الرعايا الأجانب الرسوم اللازمة فهم أحرار فى التجارة الداخلية والخارجية ولا تطلب فرنسا إمتيازا زائداً عن الأجانب الآخرين ـ ولكنها تتمتع بكل الامتيازات والتسهيلات التى تتمتع بها الدول الأخرى.

مادة ٩ : يحرر الوالى تعهدا بدفع ٨٠٠ ألف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا إزاء إرسالها أسطولها ولتسهيل تسوية دين الرعايا الفرنسيين بدفع نصف الدين فى ١٦ أغسطس ونصفه الباقى فى ديسمبر سنة ١٨٣٠ .

مادة ١٠ : تبقى المعاهدات والاتفاقات التى تمت قبل ذلك بين فرنسا والدولة العلية أو بينها وبين إيطاليا دون تغيير عدا ما نصت عليه هذه المعاهدة .

مادة ١١ : تنشر هذه المعاهدة فى يوم الخميس ١٢ أغسطس فى طرابلس وفى يوم ١٧ فى المدن القريبة وفى يوم ٢٢ فى المقاطعات وفى مدة لاتتعدى ١٢ سبتمبر فى أبعد مكان من الولاية

خاتمة : نسخت هذه المعاهدة من نسختين على ظهر السفينة الملكية الراسية فى ميناء طرابلس وأجرى فى الحال تبادل الوثائق وتعهد الطرفان بتنفيذ أحكامها .

تحريراً فى ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ - سنة ١٢٤٦ هـ .

ملحق لمعاهدة فرنسا

تكونت لجنة من مسيو كوسى قائد سفينة trés d'ane ورئيسها وضباطها الملازم رو ولمنر وقامت بجرد السفن وتسجيلها فى القائمة الملحقة بالمعاهدة .

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
طعة كرويت بثلاث ساريات	١	٢٢ مدفع هاون + ١٨ قواعد مدافع	جديدة
فينة ابريق	١	١٨ مدفع هاون + ١٢ قاعدة	»
» »	١	١٨ مدفع كبير + ١٢ قاعدة	»
» »	١	١٦ مدفع + ٨ ماكينات مدافع	تصنع فى الترسانة
» »	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع	قديمة
فينة ابريق جولتا	١	١٤ مدفع + ٨ قواعد مدافع	قديمة نوعا

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
سفينة ابريق جولتا	١	١٢ مدفع هاون + ٦ قواعد مدافع	قديمة
سفينة ملكية صغيرة	١	٨ مدفع + ٦ قواعد مدافع	»
غليون	٢	٤ مدافع + ٦ قواعد مدافع	»
غليون صغيرة	١	مدفع واحد + ٤ قواعد	»
حاملات مدافع	٤	٤ مدافع + ١٨ قاعدة مدفع	»

السفن الغائبة

ابريق جولتا	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع	موجودة فى شرق البحر المتوسط
» »	١	١٢ مدفع + ٦ قواعد مدافع	» » »
» »	١	٨ مدافع + ٨ قواعد	بنغازى
سفينه سكونو	١	ليس بها مدافع	تمر بالسواحل

أغسطس سنة ١٨٣٠ فى طرابلس الغرب

لمتر — رو — كوس — روزامل

الملاحـــق

أولا: باللغة العربية

1/ المصادر:

1- البغدادي شهاب الدين الحموي أبي عبدا لله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي، **معجم البلدان**. مجلد04، (بيروت لبنان: دار صادر، د س ن).

2- البكري أبي عبيد عبد الله ، **المسالك والممالك**.(د ب ن، د د ن، د س ن).

3- توللي ريتشارد، **عشرة أعوام في بلاد طرابلس 1783 1793**. تر: عبدالجليل الطاهر، (طرابلس ليبيا: مكتبة الفرجاني، 1967).

4- ج أو هابنتسرايت، **رحلة العالم الألماني ج أو هابنتسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ 1732م)**. تر: ناصر الدين سعيدوني، (تونس: دار الغرب الإسلامي، د س ن).

5- الجبرتي عبدالرحمن بن حسن، عجائب الأثار في التراجم والأخبار. تح: عبدالرحيم عبدالرحمان عبدالرحيم، ج3، (القاهرة مصر: دار الكتب المصرية، 1998).

6- حسن حسن الفقيه، **اليوميات الليبية**. تحقيق: محمد الأسطي وعمار جحيدر، ج01، ط02، (بنغازي ليبيا: مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 2001).

7- خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**. تح:محمد العربي الزبيري، (الجزائر: مرسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2006).

8- روسو ألفونصو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**. تح: محمد عبدالكريم الوافي، (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، د س ن).

9- روسي إتوري، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**.تر:خليفة محمد التليسي،)الإسكندرية مصر: دار العربية للكتاب، 1974).

10- الزهار أحمد الشريف، **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**. تح: أحمد توفيق المدني، دار البصائر بالجزائر، 2008، ص83.

11- الطرابلسي ابي عبدالله محمد بن خليل غلبون، **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار في من ملك طرابلس وماكان بها من أخبار**. صح الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، (القاهرة: د د ن، 1349هـ).

12- الطرابلسي أحمد بك الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**. (ليبيا: منشورات مكتبة الفرجاني، د س ن).

13- فالنسي لوسيت، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830**. تر: إلياس مرقص، (بيروت لبنان: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1980).

14- فولاين كولا، **ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمنلي**. تر:عبدالقادر مصطفى المحيشي، (طرابلي ليبيا: منشورات مركز جهار الليبي، 1988).

15- فيرو شارل، **الحوليات الليبيبة منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**. تحقيق: محمد عبدالكريم الوافي، ط3،(بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، 1994).

16- كوستاتريوبرنيا، **طرابلس من 1510م إلى 1850م**. تعر: خليفة محمد التليسي،(بنغازي ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 185).

17- المحامي محمد فريديك، **تاريخ الدولة العالمية العثمانية**. تحقيق: إسان حقي، (بيروت لبنان: دار النفائس، 1981).

18- موارية جوزيف ماري، **مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر**. تر كاميليا صبحي، (د ب ن: دار المجلس الأعلى للثقافة، 2000).

19-مؤلف مجهول **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تع: سعد زغلول عبدالحميد، (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، د س ن).

20- ميكاكي رودلفو، **طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي**. تر:طه فوزي، (طرابلس ليبيا: دار الفرجاني، د س ن).

21- الناصري ابو العباس احمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية**. تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج3، (الدار البيضاء المغرب: دار الكتاب، 1997).

22- الناصري ابي عبد الله محمد بن عبدالسلام، **الرحلة الناصرية الكبرى**. تع المهدي الغالي، ج01، (المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية 1434هـ 2013م).

2/ المعاجم:

23- الزاوي الطاهر أحمد، **معجم البلدان الليبية**. (طرابلس ليبيا: دار الإتحاد العربي للطباعة، 1968).

24- الطرابلسي الطاهر أحمد الزاوي، **معجم البلدان الليبية**. (طرابلس: مكتبة النور، 1388هـ 1968م).

25- عتريس محمد، **معجم البلدان العالم**. (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 2002).

3/ المراجع:

26- إبراهيم عبدالله عبدالرزاق، الجمل شوقي، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**. (القاهرة مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997).

27- أبو حامد محمود الصديق، النمس محمود عبدالعزيز، **مدينة طرابلس منذ الإستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي**. (د ب ن: الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، 1398هـ 1978م).

28- أبوعجيلة محمد الهادي عبدالله، **النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711-1835 وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية.** (بنغازي ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، 1997).

39- أبوعجيلة محمد الهادي، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر.** (د ب ن: دار الشعب، 2014).

30- اسماعيل راشد أحمد، **تاريخ المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر. (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)،** (د ب ن: دار النهضة العربية، 2004.

31- آصاف عزتلو يوسف بك، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن.** تقديم محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1415هـ 1995م).

32- الانصاري ناصر، **المجمل في تاريخ مصر.** (القاهرة مصر: دار الشروق، 1993).

33- الباروني محمد، **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس.**(د ب ن: مطبعة ماجي، 1952).

34- بروشين نيكولاي إيليتش، **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتي مطلع القرن العشرين.** تر: عماد حاتم، ط2، (بيروت لبنان: دار الكتاب الجديدة، 2001).

35- البستاني يوسف، **نابليون الأول أو النسر الأعظم.** ط2، (مصر: مطبعة الهلال، 1924).

36- بن اسماعيل عمر علي، **انهيار حكر الأسرة القرمنلية في ليبيا 1795-1835.** (بيروت لبنان: مكتبة الفرجاني، 1966).

37- البهنسي صلاح أحمد، **طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني.**(القاهرة: دار الأفاق العربية، 1424هـ 2004م).

38- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**. (بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1997).

39- بوحوش عمار، **العمال الجزائريون بفرنسا**. (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979).

40- بيضون جميل وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**. (الأردن:دار الامل للنشر والتوزيع، 1412هـ، 1991م).

41- التركي نقولا، **الحملة الفرنسية على مصر والشام**. تاليف: ياسيين سويد، (بيروت لبنان: دار الفارابي، 990).

42- التميمي عبدالجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1971**. (د ب ن: دار التونسية للنشر، 1978).

43- جفال عمر، **العلاقات الليبية وموقع الجزائر منها**. مخطوط دكتوراه غير مناقش.

44- الجمل شوقي عطاالله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**. (القاهرة مصر:مكتبة الانجلو المصرية، 1977).

45- الجميعي عبدالمنعم، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**. (القاهرة مصر: دار الفكر العربي، 2008).

46- دوان القومندان جورج، **مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829-1830 وثائق وزارة الخارجية الفرنسية**. تر: عثمان مصطفى عثمان،(القاهرة مصر: المركز القومي للترجمة، 2010).

47- الرارنرلي عزت حسن أفندي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني**. تر: جمال سعيد عبدالغني، (د س ن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998).

48- رفعت محمد، **تاريخ مصر السياسي في الأزمة الحديثة**. ج1،(القاهرة مصر: وزارة المعارف العمومية الأميرية ببولاق، 1934).

49- الزاوي الطاهر أحمد، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلة نهاية العهد التركي**. (لبنان بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1390هـ 1970م).

50- زوزو عبدالحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2009).

51- زياد نقولا، **مناضرات في تاريخ ليبيا من الإستعمار الإيطالي إلى الاستقلال**. (د ب ن: معهد الدراسات العالمية، 1958).

52- سامح عزيز، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**. تر: محمود علي عامر، (بيروت لبنان: دار النهضة العربية، 1989)، ص573.

53- السروجي محمد محمود، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**. (د ب ن: د د ن، 1998).

54- سعدالله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**. (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009).

55- سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**.ط2، (الجزائر: دار البصائر، 2009).

56- الشناوى عبدالعزيز محمد، **صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر**. (مصر: مطبعة دار الكتب، 1981).

57- صبري محمد، **تاريخ العصر الحديث مصر من محمد علي إلى اليوم**. ط2، (د ب ن: مطبعة مصر مشتركة مساهمة مصرية، 2000).

58- الضياف احمد بن ابي، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان**. ج3، (د ب ن: الدار العربية للكتاب، 1999).

59- طه جاد، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**. (د ب ن: دار الفكر العربي، د س ن).

60- الطويل امحمد سعيد، **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمنلي 1795-1832**. (بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2001)، ص299.

61- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**.ط2، (تونس: دار الكتاب العربية الشرقية، 1373هـ).

62- عبدالعزيز زينب، **مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين**.(د ب ن: الإشراف والتنفيذ الطباعي كمبيوتر ستار، 1998).

63- العسلي بسام، **جهاد الشعب الجزائري**. ج1، (وهران الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 2009).

64- عودة محمد عبدالله، الخطيب إبراهيم ياسين، **تاريخ العرب الحديث**. (عمان: الأهلية لنشر والتوزيع، 1989).

65- غرايبة محمد عبدالكريم، **تاريخ العرب الحديث**. (بيروت لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1984).

66- كوران ارجمنت، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847)**. تر: عبدالجليل التميمي،(تونس: مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة التونسية، 1970).

67- لورنس هنري وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام**.تر: بشير السباعي، (القاهرة مصر: سينا للنشر، 1995).

68- لونيس ابراهيم، **بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة**. (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د س ن).

69- محروس اسماعيل حلمي، **تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الثانية**. (الاسكندرية مصر: د د ن، 1997).

70- المدني أحمد توفيق، **هذه هي الجزائر**. (القاهرة مصر: مكتبة النهضة المصرية، 2001).

المصري محمد إبراهيم لطفي، **تاريخ حرب طرابلس**. (د ب ن: مؤسسة الأمير فاروق، 1946).

71- هاشم أحمد نجيب، محمد مأمون نجا، أطلس تاريخ القرن التاسع عشر. (مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1938).

72- الوبيه علي مسعود، **الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842-1911**. مراجعة طاهر خلف البكاء، طرابلس ليبيا: منشورات مركز جهاد الليبيين، 2005).

73- ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**. (الرياض السعودية: مكتبة العبيكان، 1998).

4/ المذكرات:

74- حسنة كمال، **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807م**. رسالة ماجيستير: جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2006/2005.

75- صغيري سفيان، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1830-1971**. رسالة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2012/2011.

76- الطويل امحمد سعيد سالم، **العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أروبا المتوسطية(1795م-1832م، 1210هـ-1248هـ)**،أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2007-2008.

77- غريس جلول، **العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية الأوربية خلال عهد يوسف باشا القرمانلي (بريطانيا وفرنسا أنموذجا) -1209 1247هـ، 1795 1832م-**. (مذكرة ماستر:جامعة الأغواط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2017/2016).

ثانيا: باللغة الأجنبية:

78- BULHASEN Saif elnaser**, Les relations franco-libyennes**. thése doctorat (France, université d'auvergne,2008.

79- MATRUD Fowzia, **Les relations franco-tripolitaines à l'époque de youssef pacha, entre 1795 et 1832** .thése doctorat (France, université d'Orléans, 2013).

الفهرس

الفـــــــهرس

الاهداء

تشكرات

قائمة الاختصارات I

قائمة الملاحق II

مقدمة عامة ..... أ

I. الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب 1

1.I: جغرافية طرابلس 2

1.1.I: الاسم ودلالته 2

2.1.I: الموقـع الجغرافي 4

3.1.I: المساحة والأبعاد 4

2.I: جذور العلاقات الطرابلسية الفرنسية 4

3.I: أوضاع طرابلس الغرب خلال عهد يوسف باشا القرمنلي 9

II. الحملة الفرنسية على مصر وعلاقة فرنسا بطرابلس الغرب 1795 – 1801 13

1.II: خلفيات الحملة وأسبابها 14

2.II: سير الحملة واحتلالها لمالطا ومصر 18

3.II: التقارب الطرابلسي الفرنسي وموقف الدولة العثمانية وانجلترا منه 27

1.3.II: التقارب الطرابلسي الفرنسي 27

2.3.II: موقف الدولة العثمانية وانجلترا من التقارب الطرابلسي الفرنسي 30

III. الصراع الإنجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب 1801 – 1830 36

1.III: العلاقة الإنجليزية الطرابلسية اثناء الحرب الامريكية الطرابلسية 37

2.III: تراجع العلاقات الطرابلسية الفرنسية 1801-1805 40

1.2.III: زيادة التقارب مع إنجلترا 40

2.2.III:الوفاق الأوربي وانعكاساته 43

3.III: التنافس الإنجليزي الفرنسي 48

IV. الأزمات الفرنسية الطرابلسية وانعكاسات الحملة الفرنسية للجزائر على طرابلس الغرب 1826 – 1830 53
1.IV: الأزمة البابوية 1826 54
2.IV: أزمة 4 نوفمبر 1826م وقضية الرحالة الانجليزي لانج 58
3.IV: أزمة التحالف المصري الفرنسي 65
4.IV: أزمة الحملة الفرنسية على الجزائر وأثرها على طرابلس 69
الخاتمـــــــــة 77
الملاحـــــــــق 81
بيبليوغـــــــرافيا 92
الفهـــــــــرس 102